الحوار في ضوء القرآن والسنة

طاهر حسين محمد زيدان*

Abstract

Dialogue in the Light of the Qur'ān and *Sunnah*

Tahir Hussain Muhammad Zaidan*

This article discusses different aspects of dialogue in the light of the Qur'ān and *Sunnah*. The Qur'ān calls for dialogue and the biography of the Prophet Muḥammad tells that he interacted with polytheists, hypocrites, and the people of the book. Therefore, dialogue with other religions is not just a forced choice imposed by geographical, social, or political realities; rather it is the best strategy that the Prophet (PBUH) employed during the Meccan and Medina phases of Islamic preaching. However, in the modern period, some people may accuse Islam of opposing interfaith dialogue. This study highlights that such accusations are baseless and that Islam teaches its followers to have dialogue with the adherents of other religions in the best possible way. Moreover, this study identifies the ways to promote and strengthen interfaith dialogue in the modern age.

Keywords

Qur'ān, sunnah, interfaith dalogue, peaceful coexistence.

---

* أستاذ مشارك، رئيس قسم أصول الدين والعقيدة، بالجامعة الإسلامية بولاية مينيسوتا الأمريكية فرع مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

* Associate Professor, Head of Department of Islamic Studies, Islamic University of Minnesota America, Mecca Campus, Kingdom of Saudi Arabia.

المقدمة

تعيش الأمة الإسلامية حالة عصيبة من الزمن، اختلط فيها الواقع بالخيال، الأمل باليأس، ومع تفرق أبناء الأمة ظهرت الحاجة للتقريب بين المسلمين، فضلا عن ضرورة الوحدة، ولكن هذا الأمر لا يحدث إلا بعد تحديد المشكلة، من أجل تحديد كيفية مواجهة تلك المشكلة، وفي عصر تداخلت فيه المشاكل الدولية بالمشاكل الداخلية، فيجب على المسلمين العودة إلى جذورهم الدينية الحقيقية، وتحديد الخطر الأكبر الذي يوجههم.

إن أخطر ما يواجهه المسلمون هو وجود جماعة تنشر الإرهاب في ربوع العالم ثم تنسب نفسها للإسلام فشوهت الإسلام والمسلمين، ثم حدث ما سُمي في الغرب الأوروبي "الإسلاموفوبيا"[١]، أو الخوف من الإسلام، وهي حالة من الهلع من أي مسلم، من أي اسم فيه محمد وأحمد وعلي ومصطفى وعبد الله وعائشة وفاطمة وغيرها من الأسماء الإسلامية، وهو الأمر الذي لا يجب السكوت عليه، بل يجب مواجهة الأمر بالحكمة والعقل والتقارب بين المسلمين، والحوار فيما بينهم قبل الحوار مع غيرهم، وهذا يستلزم من المسلمين العودة لأصولهم القرآنية الربانية، والعمل على تطبيقها في أرض الواقع.

لابد أن يبدأ المسلمون الحوار فيما بينهم الآن دون تأخير، والعودة للميراث الإسلامي التسامحي الشامل لكل مناحي الحياة، فالله يطلب الاعتصام، فلابد من الاعتصام لقد جاء الإسلام بالتوحيد والعدل، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[٢]، والميزان رمز للعدل، ولا يكون العدل موجودا دون أن تكون إرادة الإنسان حرة مستقلة، والعدل يشمل الجميع ليبدأ الحوار، والحضارة الإسلامية هي أم الحضارة

١- مصطلح يعني الخوف من الإسلام، لأن كلمة فوبيا تعني الخوف المسيطر على الإنسان بسبب موقف أو شيء معين، وشاع المصطلح، حتى أصبح الخوف من المسلمين أمرا مفروغاً منه في العالم الغربي.

٢- سورة الحديد، الآية: ٢٥.

المعاصرة، أخذ الغرب منها ثم بنى عليها، وحاولوا تشويه الإسلام، على أنه وبالرغم من الحملات الفكرية التي تشن في الفترة الأخيرة على التراث الإسلامي ومحاولة منح إيحاءات مضللة بخصوصه عبر التركيز على نقاطه السلبية والتغاضي عن نظيرتها الإيجابية، وهي محاولة لا تبدو بريئة على الإطلاق، حيث تسعى لفصل شعوب الشرق عن تراثها الأقرب.

ومن المؤكد أن مثل هذه الحضارة الإسلامية الضخمة لم تكن لتتمكن من التوسع والاستقرار كل هذه الفترات التاريخية دون الاعتماد على الحوار مع النفس والآخر، والذي مثل في الكثير من المناطق الإسلامية الأكثرية الجماهيرية، كما أن سقوط الحضارة الإسلامية في فترات التأخر التي عاشتها، هو ما أدى لتجاوز المسلمين على مسلماتهم الحضارية التي مثلت أهم أسباب تفوقهم مما أدى لحالة التراجع والتشوه الحضاري الذي تعاني منه معظم دولهم.

القرآن يطالبنا بالحوار، وعندما نعود للسيرة النبوية نجد أن النبي الكريم تعامل مع المشركين والمنافقين وأهل الكتاب، ولم يؤثر عنه أبدا أنه دخل من تلقاء نفسه في عداء مع أحد، أو قام بالحرب، فالحروب النبوية كانت في الأصل حروبا دفاعية.

ولقد أدهش النبي العالم كله في تعامله مع أعدائه وهو قادر عليهم، فلم يظهر في التاريخ أرحم منه مع أعدائه رغم ما كان يلاقيه منهم من الأذى، إلا أنه كان مثالا للأخلاق الحسنة ممتثلا لخلق العفو عند المقدرة، فالأخلاق الحسنة ميراث الصالحين والمؤمنين، وإنما مكارم الأخلاق ميراث المؤمن[٣]. ورسول الله ماسك بلجامها متمسك بها داعٍ إليها ومتممٌ لها "إنما بعثت لأتمم مكارم ألأخلاق" [٤]، ويقول تعالى عن أخلاقه النبوية الكريمة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

٣- أبو داود سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود** (بيروت :المكتبة العصرية ،٢٠١٠م) ج ١ص١٣٧، و ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق مجموعة محققين (القاهرة: دار الريان للتراث ، ١٤٠٨هـ) ط،١، ج ٦ ص ٥، وابن حجر العسقلاني ، **موافقة الخبر**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي (الرياض: مكتبة الراشد ١٤١٩هـ) ط ٣ ، ج ١ ص١٩٧.

٤- محمد بن إسماعيل البخاري، **الأدب المفرد**، تحقيق كمال يوسف حوت، رقم الحديث: ٢٧٣، بلفظ صالح الأخلاق (بيروت: عالم الكتب –١٤٠٤ هـ– ١٩٨٤م) وأحمد بن حنبل، **مسند أحمد** (القاهرة: عيسى الحلبي المطبعة الميمنية،

لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٥]، ويقول تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٦].

والرسول القدوة كان يحاور كل الناس مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم، إذن لا يمثل الحوار مع الآخر مجرد خيار اضطراري يفرضه الواقع الجغرافي أو الاجتماعي أو حتى السياسي، وإنما هو الخيار الأفضل الذي اعتمد عليه الإسلام كعقيدة منذ بدايته المكية ومروراً بالمرحلة المدنية وحتى خلال المراحل التاريخية اللاحقة في عهد الخلفاء الراشدين، أو في ظل الدولة الأموية أو العباسية، ومن جاء من بعدهم من الدول الاسلامية.

لقد كان خيار الحوار هو الأكثر قرباً من المنهج الإسلامي والذي سعى النبي صلى الله عليه وسلم من خلاله لتصحيح فكر المجتمع القبلي والعصبية القبلية، وكان طرح الحوار مع الآخر الديني والذي كان يتضمن كذلك في بعض الأحيان الآخر السياسي، الوسيلة البديلة للصراعات القائمة على العصبيات.

وقد تضمن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الكثير من انواع وأساليب الحوار مع الآخر الديني كالنصارى واليهود وحتى الوثنيين، وشملت في بعض الأحيان المديح لهذا الآخر بل إن هذه الحوارات شملت كذلك تفاهمات بين الخلفاء الراشدين وخلفاء الأمويين والعباسيين وبين أبناء الأديان والمذاهب الفكرية المخالفة والذين كانوا يعيشون تحت حماية الدولة.

أسباب اختيار الموضوع

(١) يعد أسلوب الحوار أحد أهم الوسائل التي تملكها الأمة كما يملكها الفرد على حد سواء للتواصل مع الآخرين، فالحوار نمط حياة وأسلوب تفكير وقد أولى القرآن الكريم عناية كبيرة للحوار، فهو الأسلوب الغالب في قصص الأمم السابقة، وهو الأداة الأولى للأنبياء وأتباعهم في نشر الدعوة .

١٣١٣هـ) ج ٢ص٣٨١ - تصوير المكتب الإسلامي بيروت – دمشق ، وابن أبي شيبة، **المصنف**، تحقيق عبدالخالق الأفغاني (دائرة المعارف بالهند بدون تاريخ) ج ١١ص٥٠٠.

٥- سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

٦- سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) الحوار هو الوسيلة الأولى في عرض مسائل العقيدة، وقد لوحظ أن ساحة الحوار تكاد ترتبط بالشخصية الإنسانية ولهذا كانت شاملة، كما لوحظ أن موضوعاته تكاد تنحصر في موضوع الرسالة ومدى قرب الناس وبعدهم عنها، ولهذا كانت هذه الدراسة تركز على أسلوب الحوار في القرآن والسنة.

(٣) هذا العصر يشهد اتهامات شتى للإسلام بأن تعاليمه تعاليم جامدة لا حوار فيها مما حتم علينا إبراز الحوار في تعاليم الإسلام وانفتاحه على الآخر.

(٤) أردت من خلال تلك الدراسة توضيح طرق تعزيز الحوار وتقويته في هذا العصر عصر التقدم العلمي.

المبحث الأول: مفهوم الحوار وأهدافه وآدابه، و يشتمل على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: مفهوم الحوار لغة واصطلاحا

الحِوارُ لغةً: الرجوع، جاء في **مقاييس اللغة**: الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخَر الرُّجوع، والثالث أن يدور الشيء دَوْراً.

فأما الأول فالحَوَر: شدّةُ بياض العينِ في شدّةِ سوادِها. قال أبو عمرو: الحَوَر أن تسودَّ العين كُلُّها مثلَ الظباء والبقر، وليس في بني آدمَ حَوَرٌ. قال وإنما قيل للنساء حُورُ العُيون، لأنهن شُبِّهن بالظِّباء والبقر.وقال الأصمعيّ: ما أدري ما الحَوَر في العين. ويقال حوّرت الثيابَ، أي بيّضْتُها. ويقال لأصحاب عيسى عليه السلامُ الحواريون لأنهم كانوا يحوِّرون الثِّياب، أي يبيّضونها.

هذا هو الأصل، ثم قيل لكلِّ ناصر حَوَاريٌّ. قال رسول الله : "الزُّبير ابنُ عمَّتي وحَوارِيَّ من أمّتي". والحَوَاريّات: النِّساء البيض. قال:

فقُلْ للحَوَاريّاتِ يبكين غيرَنا *** ولا يَبْكِنا إلا الكلابُ النوابحُ[٧].

٧- البيت لأبي جلدة اليشكري، كما في **اللسان والمؤتلف والمختلف للآمدي** ٧٩. وهو في الأخير برواية: "فقل لنساء المصر".

وأمّا الرجوع، فيقال حارَ، إذا رجَع. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾[٨].

والعرب تقول: "الباطلُ في حُورٍ" أيْ رَجْعٍ ونَقْصٍ، وكلُّ نقص ورجوع حُورٌ.

قال: والذّمُّ يبقَى وزادُ القَومِ في حُورِ[٩].

والحَوْر: مصدر حار حَوْراً رَجَع. ويقال: "نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر". وهو النُّقصان بعد الزيادة.

ويقال: "حارَ بعد ما كارَ". وتقول: كلَّمتُه فما رجَعَ إليّ حَوَاراً وحِوَاراً ومَحُورَةً وحَوِيراً.

والأصل الثالث المِحْور: الخشبةُ التي تدور فيها المَحَالة. ويقال حَوّرْتُ الخُبْزَةَ تحويراً، إذا هيّأتها وأدَرْتَها لتضعَها في المَلَّة. ومما شذَّ عن الباب حُوار الناقة، وهو ولدُها[١٠].

من الحور، وهو الرجوع، قال ابن منظورٍ: "أَصل الحَوْرِ الرجوع إِلى النقص... وهم يَتَحاوَرُون أَي يتراجعون الكلام، والمُحاوَرَةُ مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره والمَحُورَةُ من المُحاوَرةِ مصدر كالمَشُورَةِ من المُشاوَرَة، وإِنه لضعيف الحَوْرِ أَي المُحاوَرَةِ"[١١].

وقال الراغب الأصفهاني: "المحاورةُ والحِوَارُ: المرادّةُ في الكلام، ومنه التحاورُ"[١٢].

قال القرطبي في جامعه عند قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ

٨- سورة الانشقاق، الآيتان: ١٤،١٥.

٩- عجز بيت لسُبَيْع بنُ الخَطِيم يَمْدَح زَيد الفَوارسِ الضَّبّيّ، وصدره: واستَعْجَلُوا عَنْ خَفيف المَضْغ فازْدَرَدُوا * والذم يبقى وزاد القوم في حور. وفي **أدب الكاتب** لابن قتيبة هكذا: لا تَبْخَلَنَّ فإنَّ الدَّهْرَ ذو غِيرِ ** والذّمُّ يَبْقى وزادُ القَوْمِ في حُورِ. **أدب الكاتب**، لابن قتيبة، باب الحرفين اللذين يتشابهان في اللفظ وفي المعنى.

١٠- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) **مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ) مادة: حور.

١١- ابن منظور، **لسان العرب** (القاهرة: دار المعارف) ج٤ ص٢١٧.

١٢- الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داودي (دمشق: دار القلم ، ٢٠٠٩م) ص٢٦٢.

أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾[١٣]. "أي يراجعُهُ في الكلام ويجاوبُهُ، والمحاورة: المجاوبة. والتحاور التجاوب"[١٤].

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾[١٥]. أي مراجعتها إياه في أمره[١٦].

الحوار اصطلاحا هو: مراجعة الكلام بين طرفين مختلفين، مع تقديم الحجج والبراهين لإقناع أحدهما برأي الآخر أو لتقريب وجهات النظر[١٧]. أو هو: مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة[١٨].

فالحوار إذن هو تداول الكلام بين أكثر من طرف في قضية أو قضايا معينه لمحاولة الإقناع أو التوصل إلى رأي توافقي تلتقي فيه الأطراف المتحاورة، بحيث يبدي كل طرف رأيه مدعوما بالأدلة والبراهين في جو يسوده الهدوء والاحترام وليس بالضرورة أن تكون بين أطراف الحوار خصومة.

والحوار بهذا المفهوم سبيل ناجح للتفاهم والإقناع والتوصل إلى نتائج إيجابية في نهاية المطاف أو التوقف عند تعذر ذلك بلا ضرر، ويتداخل كثيرا مع الجدل والمناظرة.

الفرق بين الحوار والجدل والمناظرة

سبق أن بيَّنَّا معنى الحوار لغة واصطلاحا وفيما يلي نعرِّف بالجدل والمناظرة كذلك لغة

١٣- سورة الكهف، الآيات: ٣٢، ٣٤.

١٤- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي (مؤسسة الرسالة للنشر) ج١٠ص٤٠٣.

١٥- سورة المجادلة، الآية: ١.

١٦- ابن جرير الطبري، **جامع البيان في تفسير آي القرآن** (القاهرة : دار ابن الجوزي) تفسير سورة المجادلة، الآية الأولى.

١٧- أحمد محمد الشرقاوي، **الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام** (جامعة الشارقة) ج١ص٦.

١٨- أحمد سيف تركستاني، **الحوار مع أصحاب الأديان** (وزارة الأوقاف السعودية، ٢٠١٩م) ج ١ص٩.

واصطلاحا، لنتوصل إلى معرفة الفرق بين هذه الكلمات المتقاربة.

فالجدل لغةً: من الجَدْل وهو شِدَّة الفَتْل، وجَدَلْتُ الحَبْلَ أَجْدِلُه جَدْلاً إِذا شددت فَتْله وفَتَلْتَه فَتْلاً مُحْكَماً، قال ابن منظور: "الجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة"(١٩).

واصطلاحاً: الجدل هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، ودفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة" أما الجدال، فهو عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها (٢٠)، وهذا هو الفرق بينه وبين الجدل، وهو نوعان: مذموم، وهو الجدل العقيم، والجدل بالباطل، والجدل بغير علم ولا هدى، ومحمود وهو الذي يهدف للوصول إلى الحق وإظهاره.

أما المناظرة في اللغة فتدور حول النظر والتأمل والنظير الشبيه والمثيل (٢١):

قال ابن منظور: "والتَّناظُرُ التَّراوُضُ في الأَمر، ونَظِيرُك الذي يُراوِضُك وتُناظِرُهُ وناظَرَه من المناظَرَة، والنَّظِيرُ المِثْلُ، وقيل المثل في كل شيء وفلان نَظِيرُك أَي مِثْلُك لأَنه إِذا نَظَر إِليهما النَّاظِرُ رآهما سوءا ونَظِيرُ الشيء مِثْلُه...

ويقال ناظَرْت فلاناً أَي صِرْتُ نظيراً له في المخاطبة وناظَرْتُ فلاناً بفلان أَي جعلته نَظِيراً له"(٢٢)."والمُناظَرَةُ أَن تُناظِرَ أَخاك في أَمر إِذا نَظَرْتُما فيه معاً كيف تأْتيانه والمَنْظَرُ والمَنْظَرَةُ ما نظرت إِليه فأَعجبك أَو ساءك"(٢٣).

١٩- ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٢ص١٠٥.

٢٠- الجرجاني، **التعريفات** (بيروت: دار الكتب العلمية) ٢٩٨.

٢١- الشرقاوي، **الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام**، ج١ ص٦.

٢٢- الجرجاني ، **التعريفات**، ص٢٩٨، ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٥ص٢١٧.

٢٣- ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٥، ص٢١٧.

فالمناظرة تفيد النظر والتفكر في الأمور والبحث عن الحق عن طريق المحاورة مع الآخرين، وهي محاورة بين طرفين حول موضوعٍ لكل منهما وجهةُ نظر فيه تخالف وجهةَ نظر الآخر وكلٌّ منهما يحاول إثبات وجهةِ نظره، وإبطالَ وجهة نظر خصمه.

ومن هنا يمكن لنا أن نفرق بين هذه المصطلحات بأن :

الحوار أعم من الجدل ومن المناظرة؛ إذ يشمل الجدل بِشِقَّيْهِ –المحمود والمذموم– لأنه نوعٌ من الحوار كما يشملُ المناظرةَ باعتبارها طريقةً من طرقه.

الحوار قد يقع بين متوافقين كالحوار بين الزوج وزوجته، والصديق وصديقة، كما يقع أيضا بين المختلفين في الرأي أو الاعتقاد، ولكنه يتَّسم بطريقته الهادئة.

أما الجدل فإنه يقع بين مختلفين كلٌّ واحد يريد أن يثبت صحةَ ما يعتقده، وفي الجدل يحرصُ كلٌّ مجادلٍ على نقض حجج خصمه وإثبات حجته، أما الحوار فإنه قد يكون الغرض منه التعليم أو التربية والإصلاح والدعوة إلى الله، كما يهدف أيضا إلى نقض الشُّبه وإقامة الحجج، أو تقريب وجهات النظر أو التعارف أو التآلف أو الاستيضاح والاستبيان.

أما المناظرة فتكون بين طرفينِ حول قضيةٍ محدَّدة ووفق أسسٍ وضوابطَ يجتمع عليها المتناظران، ولا تكون إلا بين مختلفَينِ في الاعتقاد أو في الرأي أو في المذهب[٢٤].

والحوار بمفهومه الشامل لا غنى عنه، فهو مفتاح القلوب، وطريق مخاطبة العقول، وسبيل الإقناع وأسلوب التفاهم والتواصل ونبراس الإصلاح والدعوة، وهو مجال واسع لإبداء الرأي وإحقاق الحق وإبطال الباطل، وهو أرضيَّةٌ خصبَةٌ للتقارب والالتقاء، ومنهاج العلماء للرد على الشبهات والضلالات، وسنة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في إقامة الحجج ودفع الشبه مع أقوامهم، والحاجة إليه كبيرة في عصرنا الحاضر لتقارب الزمن، وطي المسافات، وتداخل الثقافات، وكثرة التناقضات، إضافة إلى ما يتطلبه الواقع من دحض الشبهات، وتوجيه الأفكار التي

٢٤- الشرقاوي، **الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام**، بتصرف، ج١ص٦.

تعصف بشباب الأمة، مما أورثته التقنيات الجديدة، والشبكات العالمية، وغيرها.

المطلب الثاني: أهداف الحوار

تتعدد الأهداف التي يقوم من أجلها الحوار ومن تلك الأهداف ما يلي:

١) إقامة الحجة: الغاية من الحوار إقامة الحجة ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي. والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

٢) الدعوة: الحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس، كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(٢٥).

٣) تقريب وجهات النظر: من ثمرات الحوار تضييق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، وإيجاد حل وسط يرضي الأطراف في زمن كثر فيه التباغض والتناحر.

٤) كشف الشبهات والرد على الأباطيل، لإظهار الحق وإزهاق الباطل: كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(٢٦) (٢٧).

الأصول والقواعد الرئيسة التي تضبط مسار الحوار

الأصل الأول: الوصول إلى الحق: فلا بد من التجرد في طلب الحق، والحذر من التعصب والهوى، وإظهار الغلبة والمجادلة بالباطل.

يقول الإمام الغزالي عند ذكره لعلامات طلب الحق: "أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة، لا يفرّق بين أن تظهر الضالة على يده، أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معينًا لا خصمًا،

٢٥- سورة النحل، الآية: ١٢٥.

٢٦- سورة الأنعام، الآية: ٥٥.

٢٧- عمر بن عبد الله كامل، **آداب الحوار وقواعد الاختلاف** (وزارة الأوقاف السعودية) ج ١ص٥.

ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق"[٢٨].

الأصل الثاني: تحديد الهدف والقضية التي يدور حولها الحوار، فإن كثيرًا من الحوارات تتحول إلى جدل عقيم سائب ليس له نقطة محددة ينتهي إليها.

الأصل الثالث: الاتفاق على أصل يرجع إليه، والمرجعية العليا عند كل مسلم هي: الكتاب والسنة، والضوابط المنهجية في فهم الكتاب والسنة. وقد أمر الله بالرد إليهما فقال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٢٩].

فالاتفاق على منهج النظر والاستدلال قبل البدء في أي نقاش علمي يضبط مسار الحوار ويوجهه نحو النجاح، إذ إن الاختلاف في المنهج سيؤدي إلى الدوران في حلقة مفرغة لا حصر لها ولا ضابط.

الأصل الرابع: عدم مناقشة الفرع قبل الاتفاق على الأصل فلا بد من البدء بالأهم من الأصول وضبطها والاتفاق عليها، ومن ثم الانطلاق منها لمناقشة الفروع والحوار حولها[٣٠].

المطلب الثالث: آداب الحوار

آدابُ الحوار التي تتعلق بنفسية المحاور وشخصه، وهناك ظروف نفسية قد تطرأ على الحوار فتؤثر فيه تأثيرًا سلبيًّا، فينبغي مراعاة ذلك حتى يحقق الحوار غاياته ويؤتي ثمراته[٣١]. وأهم هذه الآداب:

أولًا: تهيئة الجو المناسب للحوار

فلا بد من الابتعاد عن الأجواء الجماعية والغوغائية، لأن الحق قد يضيع في مثل هذه

٢٨- أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين** (دار المنهاج، ٢٠١١م) ص٥٧؛ و عمر بن عبد الله كامل ، **آداب الحوار وقواعد الاختلاف**، ج ١ص٥.

٢٩- سورة النساء، الآية: ٥٩.

٣٠- عمر بن عبد الله كامل، **آداب الحوار وقواعد الاختلاف**، ج١ص٦.

٣١- نفس المصدر، ج ١ص٧.

الأجواء. كما ينبغي اختيار المكان الهادئ وإتاحة الزمن الكافي للحوار.

كما ينبغي مراعاة الظرف النفسي والاجتماعي للطرف الآخر، فلا يصلح أبدًا أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق الجسدي أو النفسي، لأن هذه الأمور ستؤثر في الحوار.

ومن الوسائل في تهيئة الجو المناسب للحوار:

١ - التعارف بين الطرفين.

٢ - طرح أسئلة في غير موضوع الحوار لتهيئة نفسية الطرف الآخر.

٣ - التقديم للحوار بكلمات مناسبة ومقدمات لطيفة تلفت انتباه الطرف الآخر(٣٢).

ثانيًا: الإخلاص وصدق النية

لا بد من توفر الإخلاص لله وحسن النية وسلامة القصد في الحوار والمناظرة، وأن يبتعد المناظر عن قصد الرياء والسمعة، والظهور على الخصم والتفوق على الآخرين، والانتصار للنفس، وانتزاع الإعجاب والثناء.

ومن دلائل الإخلاص لله والتجرد لطلب الحق أن يفرح المحاور إذا ظهر الصواب على لسان مخالفه، كما قال الشافعي: "ما ناظرت أحدًا إلا تمنيت لو أن الله أظهر الحق على لسانه".

ويعينه على ذلك أن يستيقن أن الآراء والأفكار ومسالك الحق ليست ملكًا لواحد أو طائفة، والصواب ليس حكرًا على واحد بعينه(٣٣).

ثالثًا: الإنصاف والعدل

من المبادئ الأساسية في الحوار: العدل والإنصاف من تمام الإنصاف قبول الحق من الخصم، والتفريق بين الفكرة وقائلها، وأن يبدي المحاور إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة،

٣٢- الزمزمي، **الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء القرآن والسنة** (دار التربية والتراث – رمادى ١٤١٤هـ) ص١١٧– ١٣٠. بتصرف، وعمر بن عبد الله كامل، **آداب الحوار وقواعد الاختلاف**، ج ١ ص٨.

٣٣- عمر بن عبد الله كامل، **آداب الحوار وقواعد الاختلاف**، ج ١ ص٩.

ومن نماذج الإنصاف ما ذكره الله – سبحانه – في وصف أهل الكتاب: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾(٣٤)(٣٥).

رابعًا: التواضع وحسن الخلق

إن التزام الأدب وحسن الخلق عمومًا، والتواضع على وجه الخصوص له دور كبير في إقناع الطرف الآخر، وقبوله للحق وإذعانه للصواب، فكل من يرى من محاوره توقيرًا وتواضعًا، ويلمس خلقًا كريمًا، ويسمع كلامًا طيبًا، فإنه لا يملك إلا أن يحترم محاوره، ويفتح قلبه لاستماع رأيه(٣٦). وفي الحديث الصحيح: وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله(٣٧). أي يرفع منزلته في الدنيا عند الناس، وكذلك يرفعه في الآخرة ويزيد من ثوابه فيها بتواضعه في الدنيا. ومما ينافي التواضع: العجب والغرور والكبر.

خامسًا: الحلم والصبر

يجب على المحاور أن يكون حليمًا صبورًا، لا يغضب لأتفه سبب، ولا ينفر لأدنى أمر.

فقد أمر –سبحانه– نبيه بأخذ العفو وإعذار الناس وترك الإغلاظ عليهم كما في قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(٣٨).

والصفح والعفو أبلغ من كظم الغيظ ورد الغضب، لأن العفو ترك المؤاخذة، وطهارة القلب، والسماحة عن المسيء، ومغفرة خطيئته.

وأعظم من ذلك وأكبر هو دفع السيئة بالحسنة، ومقابلة فحش الكلام بلينه، والشدة

٣٤- سورة آل عمران، الآية: ١١٣.

٣٥- عمر بن عبد الله كامل، **آداب الحوار وقواعد الاختلاف**، ج ١ص١٠.

٣٦- نفس المصدر، ج ١ص١١.

٣٧- مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤هـ) ط١، ج ٤ص٢٠٠١.

٣٨- سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

بالرفق، ورد الكلمة الجارحة بالكلمة الطيبة العذبة، والسخرية والاحتقار بالتوقير والاحترام وهذه منزلة لا يصل إليها إلا من صبر وكان ذا حظ عظيم: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(٣٩)(٤٠).

سادسًا: الرحمة والشفقة

إن المحاور المسلم المخلص الصادق يحرص على ظهور الحق، ويشفق على خصمه الذي يناظره من الضلال، ويخاف عليه من الإعراض والمكابرة والتولي عن الحق.

فالرحمة والشفقة أدب مهم جدًّا في الحوار، لأن المحاور يسعى لهداية الآخرين واستقامتهم فلذلك يبتعد عن كل معاني القسوة والغلظة والفظاظة والشدة. فلا يكون الحوار فرصة للكيد والانتقام، أو وسيلة لتنفيس الأحقاد، وطريقة لإظهار الغل والحسد، ونشر العداوة والبغضاء.

والرحمة جسر بين المحاور والطرف الآخر، ومفتاح لقلبه وعقله، وكلما اتضحت معالم الرحمة على المحاور انشرح صدر الخصم، واقترب من محاوره، وأذعن له واقتنع بكلامه. يقول – سبحانه – مخاطبًا نبيه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾(٤١). ولذلك كان الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم يصرحون بالخوف والحرص والشفقة عليهم(٤٢).

ومن نماذج ذلك تصريح مؤمن آل فرعون لقومه بالرحمة والشفقة والخوف عليهم في أكثر من موضع. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ

٣٩- سورة فصلت، الآيتان: ٣٤ -٣٥.

٤٠- عمر كامل، **آداب الحوار وقواعد الاختلاف**، ج ١ ص١٢.

٤١- سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

٤٢- عمر كامل، **آداب الحوار وقواعد الاختلاف**، ج ١ ص١٤.

وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾[٤٣].

سابعًا: العزة والثبات على الحق

إن المحاور المسلم يستمد قوته من قوة الدين، وعظمة الإيمان، فلا يجوز أن يؤدي الحوار بالمسلم إلى الذلة والمهانة، والعزة الإيمانية ليست عنادًا يستكبر على الحق، وليست طغيانًا وبغيًا، وإنما هي خضوع لله وخشوع، وخشية وتقوى، ومراقبة لله سبحانه[٤٤].

ثامنًا: حسن الاستماع

لابد للمحاور الناجح أن يتقن فن الاستماع فكما أن للكلام فنًّا وأدبًا، فكذلك للاستماع وليس الحوار من حق طرف واحد يستأثر فيه بالكلام دون محاوره، ففرق بين الحوار الذي فيه تبادل الآراء وبين الاستماع إلى خطبة أو محاضرة.

ومما ينافي حسن الاستماع: مقاطعة كلام الطرف الآخر، فإنه طريق سريع لتنفير الخصم إضافة إلى ما فيه من سوء أدب، كما أنه سبب في قطع الفكرة مما يؤثر في تسلسل الأفكار وترابطها، ويؤدي إلى اضطرابها ونسيانها. وقد ذكر العلماء في آداب المتناظرين: ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه تمامًا، وأن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه، ولا يقطع عليه كلامه من قبل أن يتمه.

والاستماع إلى الطرف الآخر وحسن الإنصات، تهيئ الطرف الآخر لقبول الحق، وتمهد نفسه للرجوع عن الخطأ[٤٥].

تاسعًا: الاحترام والمحبة على رغم الخلاف

الخلاف أمرٌ واقع لا محالة ولكن لا يجوز أن يؤدي الخلاف بين المتناظرين الصادقين في

٤٣- سورة غافر، الآيات: ٣٠-٣٢.

٤٤- عمر كامل، **آداب الحوار وقواعد الاختلاف**، ج ١ ص١٤.

٤٥- الزمزمي، **الحوار: آدابه وضوابطه، في ضوء القرآن والسنة**، ص٢٣٦- ٢٤٧ وعمر كامل، **آداب الحوار وقواعد الاختلاف**، ج ١ ص١٦.

طلب الحق إلى تباغض وتقاطع وتهاجر أو تشاحن وتدابر.

فأخوة الدين وصفاء القلوب وطهارة النفوس فوق الخلافات الجزئية، والمسائل الفرعية، واختلاف وجهات النظر، لا ينبغي أن يقطع حبال المودة، ومهما طالت المناظرة، أو تكرر الحوار فلا ينبغي أن تؤثر في القلوب أو تكدر الخواطر أو تثير الضغائن.

لقد اختلف السلف فيما بينهم وبقيت بينهم روابط الأخوة الدينية.

فهذان الخليفتان الراشدان، أبو بكر وعمر، يختلفان في أمور كثيرة، وقضايا متعددة مع بقاء الألفة والمحبة، ودوام الأخوة والمودة.

ومع هذا الخلاف بينهما إلا أن كل واحد منهما كان يحمل الحب والتقدير والاحترام للآخر، ويظهر ذلك من ثناء كل واحد منهما على صاحبه[٤٦].

المبحث الثاني: الحوار في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: الحوار في ضوء القرآن الكريم

الحوار في الإسلام يقترب من الفرائض، لأن القرآن الكريم يريد التقارب بين البشر بصورة عامة، ولا يكون التقارب إلا بالحوار الحسن، ولذلك يتطلب تبني الحوار داخل الجماعة الإسلامية بكل أطيافها السياسية والمذهبية، وهذه ليست دعوة للتقريب بين المذاهب وإن كنّا في حاجة إليها، ولكن الحوار يجب أن يقوم على فلسفة واضحة تنطلق من النواة الأولى، أي الحوار داخل الجماعة الواحدة ، ومن السذاجة أن ننطلق للحوار مع الآخر ونحن نعجز عن الحوار مع أنفسنا، علماً بأن القرآن الكريم هو في حد ذاته كتاب حوار، والحوار في القرآن يمثل نقل عناصر الفكر الإنساني بكل خصائصه الثقافية والشعورية للإنسان الآخر الذي يقوم بالدور نفسه بالنسبة لهذا الشخص .

٤٦- الزمزمي، **الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء القرآن والسنة**، ص٢٤٧-٢٥٨، عمر كامل، **آداب الحوار وقواعد الاختلاف**، ج ١ص٤.

إن الحوار الأول في القرآن الكريم كان حواراً بين الله والملائكة عندما قال لهم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٤٧) وحاوروا ذاته العليا بقولهم باستنكار ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٤٨).

وانتهى الحوار باقتناعهم عندما أخبرهم آدم عليه السلام بالأسماء ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾(٤٩).

أما الحوار الثاني في كتاب الله، كان بينه سبحانه وتعالى مع إبليس، فإبليس رفض السجود لآدم، لكنه لم يرفض فرصة الحوار مع الله سبحانه(٥٠)، وعبر إبليس عما في نفسه، وقدم طلبه إلى الله بعد أن رفضه سبحانه وتعالى، ثم بعد أن قبل طلبه عبّر عن خطته ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾(٥١).

وأجابه سبحانه بعد ذلك ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾(٥٢). وهذا الحوار بين الله سبحانه وتعالى رب الكون وبين إبليس يعطينا فكرة أن المخلوق حتى لو كان متمرداً فإنه لا يفقد فرصة الحوار مع خالقه، ومن ثم ليس هناك شخص مرفوض في

٤٧- سورة البقرة، الآية: ٣٠ .

٤٨- سورة البقرة، الآية: ٣٠ .

٤٩- سورة البقرة، الآيتان: ٣١ -٣٣.

٥٠- السيد محمد حسين فضل الله، **مستقبل الحوار الإسلامي** (بيروت : الإسلامي – كتاب الكلمة –– منتدى الكلمة – ٢٠٠٤م) ص ٩ وما بعدها .

٥١- سورة الأعراف، الآيتان: ١٦-١٧.

٥٢- سورة الأعراف، الآيتان: ١٦-١٧.

الحوار، وبالإمكان محاورة أي إنسان مهما كانت درجة سقوطه الإنساني والديني والاجتماعي .

وجاءت الحوارات كثيرة ومتنوعة في القرآن العظيم، بين إبليس وآدم، والقرآن الكريم ذكر حوارات متعددة بين المؤمنين والكافرين والشاكين والمنافقين، ثم حوارات بين هذه الطوائف المختلفة، بحيث يمكن القول إن الحوار هو الوسيلة لتأكيد المعرفة وتحريك الواقع، وطلب القرآن الكريم أن يدخل الإنسان في حوار مع نفسه.

وقد وضع الله في قرآنه الكريم قواعد ثقافية ومعرفية للحوار يجب أن يأخذ بها المتحاور في قوله تعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٥٣).

فأراد الله للإنسان المحاور أن يملك المعرفة فيما يحاور فيه، وأراد للحوار أن ينطلق من خلال أصول موضوعية تحترم إنسانية الإنسان المحاور سواء في مقام الدعوة أو في مقام الخصام والجدال، ولعل قمة المنهج القرآني الموضوعي ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٥٤).

فالقرآن جرد الحوار من ذاتية المتحاور، وجعل المتحاورين لا يتبنيان شيئاً حتى لو كانا ملتزمين في العمق التزاماً حاسماً حول هذا الموضوع، حيث يعتبر أن هناك حقيقة، وأن هناك شكاً مشتركاً وأن الطرفين يريدان أن يحركا الشك في طريق اليقين حتى يلتقيا بالحقيقة، ويعتبر هذا الأسلوب منهجاً قرآنياً في الحوار الذي يجعل فكراً يحاور فكراً، لا ذاتاً تحاور ذاتاً ، فالحوار يضيء للإنسان مواطن الحقيقة(٥٥). ويجعل الإنسان يكتشف الآخر دون اللجوء للإكراه فضلاً عن القتل العقائدي الذي مورس كثيراً في الدولة الإسلامية، إما تحت دعاوى الزندقة أو الخروج من الملة أو

٥٣- سورة آل عمران، الآية: ٦٦.

٥٤- سورة سبأ، الآية: ٢٤.

٥٥- محمد حسين ، **مستقبل الحوار الإسلامي**، ص ١٢ .

مفارقة الجماعة، وجميعها سياسية غطت برداء الدين كثيراً، وفي الحقيقة كانت هناك محاولات كثيرة جابه العلماء فيها الخلفاء، ولكنها ظلت مواجهات فردية للعلماء لم تأخذ صفة الجماعية هذا باستثناء الحركات السياسية التي تقوض دولة لتنشئ دولة، وهذه أيضاً لها فتاوى كثيرة متنوعة حسب موقع السلطة المنتصرة، وأغلبها جاءت غير قرآنية المصدر على الإطلاق، ولكن المشكلة أن جميعها صارت من ضمن أسس الحوار التراثي والذي اعتبره المسلمون فيما بعد من الدين بالضرورة ، وليس فيه من الضرورة شيء، ولسنا بصدد الدخول في التاريخ لكل فترات التاريخ الإسلامي؛ ولكنا نريد إيضاح الحقيقة، كما جاءت في القرآن على لسان النبي صلى الله عليه وسلم.

ونورد هنا حوارا حدث بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، صاغه القرآن الكريم بصورة معجزة، قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[٥٦]. وهو حوار رائع، المشركون يطلبون طلبا يريدون من ورائه إعجاز النبي عليه الصلاة والسلام، يطلبون منه الينبوع من الأرض الصحراوية، وطلبوا نزول الملائكة، وطلبوا كتابا يرونه نازلا من السماء، ولم يكن رد النبي عليهم سوى سبحان ربي، ما أنا إلا بشر رسول، وفي هذا الحوار القصير يمكن التنبؤ بكل الحوارات الأخرى في القرآن الكريم، وهي كثيرة متنوعة متعددة لا يشملها بحث واحد، بل تحتاج لكتب كثيرة ترصد الرسالة السماوية الأخيرة من الله للإنسان، والتي تطلب منه أن يسير على نهجها الحواري.

إن الإنسان في تصور القرآن مخلوق أرضي حقاً، ولكنه بحكم تكوينه ووظيفته موصول

٥٦- سورة الإسراء، الآيات: ٩٠-٩٣.

بالسماء(٥٧)، وبهذه الصفة يجب أن يقدم له خطاب ديني متحرر من أي قيود غير قرآنية كما رأيناها آنفاً في الحوار القرآني، علماً بأن هذا الحوار السماوي يتعلق بالأرض والإنسان المستخلف.

ولماذا نذهب بعيداً، إن أول ما نزل في القرآن الكريم: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(٥٨).

فالقراءة والقلم هما عنوان المعرفة البشرية السماوية المصدر، ولا تكون القراءة إلا مع القلم أو ما دوّن بين دفتين، ولذلك فإن ثاني ما نزل من القرآن الكريم ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (٥٩).

من جديد يؤكد الله سبحانه أهمية القلم في تدوين العلم والمعرفة والثقافة، وهكذا يتسق مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾(٦٠)، لأنه سبحانه لم يترك القرآن لذاكرة البشر، فكان تدوين القرآن لحظة نزوله على الحجر وسعف النخيل من أسباب حفظ القرآن، وهو ما لم يحدث للكتب السابقة التي لم تدون في حينها فضاع كثير من معالمها، والخطاب الديني التراثي لم يأخذ بكل ما سطر القرآن الكريم، نظراً لقيود غير قرآنية أضعفت كثيراً من نصوصه إما للأهواء البشرية وإما لسوء فهم مفسري النصوص، على أنها جميعاً تخضع النصوص للتصور البشرى، وإذا كان القرآن قدم للبشر، ولم يقدم البشر للقرآن ، يكون المفهوم القرآني الذي قدم للبشر له أصوله الإلهية، وأي فهم قاصر لهذه الدلالات تخرج النصوص كلية عن معناها .ذلك هو الحوار القرآني الإلهي المصدر المحمدي التطبيق.

وعندما نعود للأصل القرآني نجد أن الحوار الممكن لابد أن يكون أولا بين المسلمين بعضهم البعض، ومن خلال التحاور تبدأ مواجهة القوى الإسلامية التي تتبنى العنف، مع شرط أن

٥٧- فهمي هويدى، "حق الناس هو حق الله"، مقال منشور في **مجلة العربي الكويتية** – العدد: ٢٩٧ – أغسطس ١٩٨٣.

٥٨- سورة العلق، الآيات: ١-٥.

٥٩- سورة القلم، الآية: ١ .

٦٠- سورة الحجر، الآية: ٩ .

يشمل الحوار كل نقاط الاختلاف، وكل زوايا الخلاف والخلافات، لتكون الأرضية المشتركة بين الجميع.

وذلك من أجل عدم التفريط بالقيم والمثل العليا الإسلامية، وعدم السماح للآخرين باختراقات جديدة لتلك القيم الراسخة في نفوس الملايين، ومن أجل صياغة ثقافة إسلامية حية تجمع المسلمين على ما هو مشترك بينهم في العقائد، وتفصيلات الشريعة مع إبداء الاحترام والتقدير والإشادة بدور كل مذهب لما قدمه من آراء ووجهات نظر، وحلول للمسائل الحياتية اليومية التي يبتلى بها المسلمون واغناء للفكر الإسلامي، وباعتبار الاختلاف عامل قوة وتنوع للشريعة الإسلامية بوجود أكثر من رأي مطروح حيال أي مسألة شرعية أو معضلة دينية، يستطيع المسلم الأخذ بأحد الحلول التي تناسبه ضمن الضوابط الشرعية.

من هنا نرى ضرورة السعي نحو الحوار والتقريب بين أبناء المسلمين، لأنه الخطوة الأولى في التمسك بالأمل(٦١)، كل ذلك من حوار إسلامي أولا وقبل كل شيء، فالحوار هو الذي يقود للتآلف، ثم التقارب ثم الاعتصام كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٦٢) فقد أمر الله الأمة جمعاء بالاعتصام بحبل الله، ولم يوجه الأمر بالاعتصام بحبل الله إلى الأفراد وإن كان واجبا على كل فرد على حدة، قال ابن عاشور رحمه الله: والاعتصام افتعال من عصم، وهو طلب ما يعصم أي يمنع، والحبل: ما يشد به للارتقاء، أو التدلي، أو للنجاة من غرق أو نحوه، والكلام تمثيل لهيئة اجتماعهم والتفاتهم على دين الله ووصاياه وعهوده بهيئة استمساك جماعة بحبل ألقي إليهم منقذ لهم من غرق أو سقوط، وإضافة الحبل إلى الله قرينة هذا التمثيل، وقوله {جميعا} حال وهو الذي رجح إرادة التمثيل، إذ ليس المقصود

٦١- علي أبو الخير، **الرسول المصطفى... ثورة الكلمة المقدسة** (القاهرة :مركز الفارابي للدراسات، ٢٠٠٧م) ص٧٧.

٦٢- سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

الأمر باعتصام كل مسلم في حال انفراده اعتصاما بهذا الدين، بل المقصود الأمر باعتصام الأمة كلها[٦٣].

هذا جزء من الحوار كما مثّله القرآن الكريم نكتفي به لأن فيه الكفاية، والحوار في القرآن يحتاج إلى أبحاث.

المطلب الثاني: الحوار في السنة النبوية المطهرة

حفلت نصوص القرآن ومواقف السنة النبوية بما يدلُّ على أن الإسلام يُؤْثِرُ دائما السلام[٦٤]، ومن أدلَّة ذلك أنَّ القرآن الكريم أورد كلمة "السلم" بمشتقاتها مائة وأربعين مرَّة، في حين ذُكِرَت كلمة "الحرب" بمشتقاتها ست مرات فقط[٦٥]، والفرق بين العددين هو الفرق بين نظرة الإسلام إلى كلا الأمرين، ومن ثَمَّ في ميل رسول الله إلى كلٍّ منهما؛ ففي كل أحوال رسول الله، كان يبحث عن الطرق السلمية والهادئة للتعامل مع المخالفين له عبر الحوار معهم، ويحرص على تجنُّب الحرب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وتؤكِّد هذه النظرة العديد من الآيات التي أمرت بالسَّلْم مع غير المسلمين إن أبدى هؤلاء الاستعداد والميل للصلح والسلام؛ فيقول الله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[٦٦]، وهذه الآية الكريمة من كتاب الله تبرهن بشكل قاطع على حُبِّ المسلمين وإيثارهم للسلم متى مال الأعداء إليه، ما لم يكن من وراء هذا الأمر ضياع حقوقٍ للمسلمين أو سلب لإرادتهم، لذلك يقول الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الراحل : "إن السلم هو الحالة الأصلية التي تهيِّئ للتعاون والتعارف وإشاعة الخير بين الناس عامَّة، وإذا احتفظ غير المسلمين بحالة السلم، فهم

٦٣- محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير** (الدار التونسية للنشر، ٢٠٠٨م) ج٣ ص١٧٣.

٦٤- راغب السرجاني، **الرحمة في حياة الرسول** (دار راغب السرجاني للنشر، ٢٠٠٩م) ص٦٧.

٦٥- المصدر السابق، ص٨٣.

٦٦- سورة الأنفال، الآية: ٦١.

والمسلمون في نظر الإسلام إخوان في الإنسانية"[٦٧]، ولهذا كله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر السلام من الأمور التي على المسلم أن يحرص عليها ويسأل الله أن يرزقه إياها.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبذل كل غالٍ ونفيس في سبيل إنقاذ أهل مكة وإخراجهم من الظلمات إلى النور، رغم عنادهم وقسوتهم في التعامل معه ومع من أسلم من أصحابه، إلّا أنه كان مصرًّا على دعوتهم إلى الإسلام الذي يُحَقِّق لهم الفلاح في الدنيا والآخرة، ويتمثل ذلك في دعائه لهم بالهداية، وكذلك اتسم بسمة التبشير؛ فحياة رسول الله من أقوال وأفعال مبنية على التبشير والحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، ولم يكن يخرج عن هذا الطبع على الرغم من قسوة المشركين عليه، فعن ربيعة بن عباد الديلي -وكان جاهليًّا ثم أسلم- قال: "رأيت رسول الله بَصْرَ عيني بسوق ذي المجاز يقول: "أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ تُفْلِحُوا..."[٦٨]، هو يريد إسلام القوم من خلال الاقتناع الذاتي العقلي وبالتأمل في الخلق والمخلوقات، في التدبر في السماء، وطلب من الإنسان أن يدخل حوارا مع نفسه من خلال التأمل والتعقل والفهم.

وهذا ما طبقه النبي صلى الله عليه وسلم في كل حياته الشريفة، كان يتلو القرآن الكريم للمؤمنين والمشركين على السواء، ليزداد المؤمنون إيمانا، ويعطي الفرصة لغير المؤمنين في التدبر، ودخل النبي صلى الله عليه وسلم في حوارات متعددة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، حوارات مع المسلمين والمشركين.

ومنها: الحوار النبوي في مكة المكرمة

في مكة المكرمة بعد بدء البعثة النبوية، قام النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله تعالى، فدخل في حوار مع عشيرته الأقربين أولاً بعد أن أمره الله عز وجل بقوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ

٦٧- الشيخ محمود شلتوت، **الإسلام عقيدة وشريعة** (القاهرة: دار الشروق للنشر، ٢٠٠٧م) ص٤٥٣.

٦٨- محمد بن سعد الزهري ، **الطبقات الكبرى**، تحقيق علي محمد عمر (القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م) ج١ص١٧٣.

ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[٦٩]، وطلب منهم الإيمان بالرسالة ، فمنهم من آمن مثل حمزة بن عبد المطلب ، ومنهم من ظل على شركه للنهاية مثل أبي لهب، ثم بدأ في نشر الدعوة إلى المجتمع القرشي، من خلال الحوار الهادئ الموضوعي، ونقتصر هنا على نموذجين حواريين من النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ومنها: حوار النبي مع عمه أبي طالب

كان أبو طالب عم النبي هو الذي رباه وحماه عندما انطلق بدعوته الإلهية، ودائما كانت قريش تحاول منع أبي طالب من حماية الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما أكثرت قريش الكلام والنقد لأبي طالب، جاء وفد من قريش إليه وطلبوا منه أن يوقف النبي عن النيل من آلهتهم الوثنية، قال ابن إسحاق: "حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة أنه حدث: أن قريشا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة، بعث إلى رسول الله، فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، قال : فظن رسول الله أنه قد بدا له لعمه فيه بدا (رأي جديد) أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، قال: فقال رسول الله : يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله، أو أهلك دونه ما تركته قال : ثم استعبر (بكى) رسول الله ، ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال : أقبل يا ابن أخي، قال: فأقبل عليه رسول الله ، فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا"[٧٠] .

الرسول رد على عمه بمنطق الدعوة الإلهية في حوار نموذجي، أولاً النبي حدد موقفه، وهو الاستمرار في الدعوة، حتى لو تخلى عنه عمه، وحتى لو وضعوا له الشمس في يمينه والقمر في يساره، وهنا جاء الحوار باستمرار وقوف أبي طالب معه.

٦٩- سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

٧٠- ابن هشام ، **السيرة النبوية** (القاهرة: دار الريان للنشر، ١٩٨٧م) ج ١ص٢١٦.

ومنها: حوار النبي مع زعيم قرشي

في نموذج حواري آخر، كان مع زعيم عظيم من زعماء قريش، وهو عتبه بن ربيعة، يروي ابن هشام في السيرة أن عتبة بن ربيعة جلس إلى رسول الله، فقال له : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة (المكانة والقوة والمنعة) في العشيرة ، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها، فقال النبي: قل يا أبا الوليد أسمع ، فقال له عتبة ما قال حتى إذا فرغ قال له : أوقد فرغت يا أبا الوليد ؟، قال نعم، قال : فاسمع مني، قال : أفعل، فأخذ الرسول يتلو عليه من سورة فصلت ، حتى انتهى إلى الآية موضع السجدة منها وهي الآية ٣٧ من السورة وهي الآية التي تقول : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٧١]، ثم قال لعتبة: قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذلك، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بوجه غير الوجه الذي ذهب به، وطلب عتبة إليهم أن يدعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وشأنه، فأبوا وقالوا له : سحرك يا أبا الوليد بلسانه[٧٢].

في هذا الحوار نجد أن عتبة بن ربيعة يعود مأخوذا بالقرآن، بل يطلب منهم ترك النبي وشأنه، ولا يمكن أن يقود الحوار النبوي مع عتبة إلا لموقف عتبة، وقد نتخيل موقف عتبة لو خاطبه النبي بمنطق دعائي غير قرآني، عندها سيعود عتبة بموقف أكثر من عدائي، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أقام عليه الحجة من خلال محاولة إقناعه بالقرآن والدعوة، الوليد دُهش وتعجب بالقرآن ولكنه لم يسلم، وكبره هو الذي منعه، ثم قتله المسلمون يوم معركة بدر الكبرى.

٧١- سورة فصلت :الآية ٣٧، والرسول قرأ لعتبة من أول السورة، التي تبدأ بـ "حم . تنزيل من الرحمن الرحيم ...إلى الآية ٣٧ التي بها سجدة قرآنية.

٧٢- المصدر السابق، ج ١ص١٥٩.

وتروي كتب التاريخ أنّ الوليد بن المغيرة ، الّذي يصفه العرب بريحانتهم وحكيمهم سمع الآيات التالية من النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾(٧٣) فلما سمع الوليد تلك الآيات، قام حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال: "والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمِر، وإنّ أَسْفَلَهُ لمغْدِقٌ، وإنّه لَيْعلو وما يُعْلى عليه". ثم انصرف إلى منزله"(٧٤)، وهذا الأسلوب أعجز قريشاً، وهيأ العقول للإيمان بالدعوة ، عبر سبل الإقناع ، ولكن الوليد لم يسلم بسبب كبريائه ، وحاول تشويه الدعوة والرسول الداعي ، فقال عن الدعوة : إن هو إلا سحر يؤثر، فنزل فيه القرآن الكريم: ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾(٧٥).

ومنها: حوار النبي عند فتح مكة

عندما فتح النبي عليه الصلاة والسلام مكّة، ترك أهلها المشركين وشأنهم، ولم يكونوا أهل كتاب، ولم يدلّ دليل على أنّه أجبرهم على الإسلام ، ولم يقتلهم ، بل عفا عنهم جميعاً في بادرة بشرية إنسانية، ونذكر في هذا المضمار رواية تبيّن مدى سماحة الإسلام المتمثّلة بشخص النبيّ: لّما كان فتح مكّة، قال رسول الله: عند مَن المفتاح، قالوا: عند أمّ شيبة ، فدعا شيبة فقال: اذهب إلى أُمّك فقل لها ترسل المفتاح، فقالت: قُل له: قتلتَ مقاتلنا وتريد أن تأخذ منّا مكرمتنا، ثم وضعت المفتاح في يد

٧٣- سورة غافر، الآيات: ١ – ٦.

٧٤- ابن كثير، **البداية والنهاية** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٩م) ج ٥ ص ٢٦٦.

٧٥- سورة المدثر، الآيات:١١-١٥.

الغلام، فأخذه النبي، وقال له: هذا تأويل رؤياي من قبل. ثمَّ قام النبي ففتحه وستره، فمِن يومئذ يُستر، ثمَّ دعا الغلام فبسط رداءه فجعل فيه المفتاح، وقال: ردّه إلى أُمّك. ودخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنّون أنّ السيف لا يُرفع عنهم ، فأتى رسول الله البيت وأخذ بعضادَتَي الباب، ثمَّ قال: لا إله إلّا الله، أنجز وعده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، ثمَّ قال: ما تظنّون وما أنتم قائلون؟ فقال سُهيل بن عمرو: نقول خيراً ونظنُّ خيراً أخٌ كريم وابن عمّ، قال: أقول لكم كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٧٦] . وحوارات النبي صلى الله عليه وسلم في مكة اكثر من ان يحصيها بحث ولكن ماذكرناه فيه الكفاية.

الحوار النبوي في المدينة المنورة

بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة، وجد جماعة من اليهود، فدخل معهم في حوار مكتوب ضمن صحيفة المدينة: فقد جاء في الصحيفة "هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن اتبعهم فلحق بهم وجاهد معهم... إنهم أمة واحدة من دون الناس... وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم. وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره... وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم، وأن الله جار لمن بر واتقى..."[٧٧].

وتعتبر صحيفة المدينة أول وثيقة حقوقية إنسانية في تاريخ البشرية.

ودخل النبي الكريم من خلال القرآن الكريم في حوارات مستمرة مع اليهود والنصارى في قمة الحوارات المنطقية، فقال تعالى في القرآن الكريم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ

٧٦- سورة يوسف، الآية: ٩٢.

٧٧- ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ٢ص١٣٣ – ببعض تصرف.

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٧٨)، فتلك الكلمة السواء، جاء بها القرآن وطبقها النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها: حوار النبي مع المنافقين

تعامل النّبي عليه الصّلاة والسّلام مع المنافقين في المدينة تعاملًا عبّر عن عقليّة فذّة تمتلك مهارات التّعامل مع شتى أجناس البشر.

فقد تزعّم عبد الله بن أبي سلول سدّة النّفاق في المدينة، حيث وصلته أخبار يوماً عن تشاحن بين رجلٍ من الأنصار ورجلٍ من المهاجرين فتوعّد المهاجرين قائلًا: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذل، فبلغ ذلك مسامع النّبي والمسلمين فهمّوا أن يقتلوه، فنهاهم النّبي عن ذلك بقوله "لا يتحدّثن النّاس أن محمدًا يقتل أصحابه"(٧٩).

وفي غزوة تبوك وعندما بنى نفرٌ مسجد الضّرار الذي أرادوا به تفريق المؤمنين كان ردّ النّبي عليه الصّلاة والسلام حازمًا لخطورة الموقف حيث أمر بهدم المسجد على أساساته، كما اتّخذ النّبي الكريم أسلوب الوعظ والتّذكير مع المسلمين حينما بثّ المنافقون بينهم دعاوي الجاهليّة، فقال يومًا منكرًا ذلك "دعوها فإنّها منتنة"(٨٠)، وذكّرهم بفضل الله عليهم وكيف صاروا بنعمة الله إخوانا"، وصلى على زعيم المنافقين، ولم يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام أن نال أحدا منهم، وكان حواره لهم مقدمة لإخلاص كل المسلمين له، وصل الأمر بهذا الإخلاص أن طلب ابنه عبد الله بن عبد الله بن

٧٨- سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

٧٩- ابن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك** (القاهرة: دار المعارف ٢٠٠٨م) ط٢، ج٥ ص١٨٩.

٨٠- محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح**، تحقيق: محب الدين الخطيب (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٠هـ) ط١، ٤٩٠٥، مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٧٤هـ)ط١، ص٢٥٨٤، وأبو عيسى محمد الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ) ٣٣١٥ .

أبي بن سلول أن يقتل أباه، ولكن النبي رفض، وقال له: " نحسن صحبته "[٨١]

العدل النبوي

لا يتحقق الحوار العادل الإيجابي سوى تطبيق العدل، والعدل بعد التوحيد مباشرة، ولذلك نجد أن رسول الله كان حريصا على تعليم أصحابه قيمة العدل مبيِّنًا لهم عظيم أجره فقال عليه السلام: "إن المقسطينَ في الدنيا على منابر من لؤلؤٍ يومَ القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا"[٨٢].

والعدل من الأخلاق النبويّة والشمائل المحمديّة التي اتّصف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، عدلٌ وسِعَ القريب والبعيد، والصديق والعدو، والمؤمن والكافر، عدلٌ يزن بالحقّ ويقيم القسط ، عدل وصل إلى درجة أن يطلب من الآخرين أن يقتصّوا منه صلوات الله وسلامه عليه خشية أن يكون قد لحقهم حيفٌ أو أذى منه، وهو أبلغ ما يكون من صور العدل[٨٣].

ومن المواقف النبوية التي تبين مدى حرصه صلى الله عليه وسلم على العدل، موقفه مع الصحابي سواد بن غزية رضي الله عنه في غزوة بدر، قال ابن إسحاق: "حدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه: كان النبي يسوي بين الصفوف في الصلاة، فطعن في بطنه بالقدح، وقال: استوِ يا سواد، فقال: يا رسول الله، أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، قال: فأقدني(اقتص لي من نفسك)، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه، وقال: استقِد، قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟!، قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير"[٨٤]، هنا حوار بين النبي وأحد أتباعه من الصحابة، الصحابي يطلب العدل في الحوار، والعدل هو

٨١- ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ٢ص١١٨.

٨٢- أحمد بن حنبل، **المسند** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م) ج٧، ص١١٧.

٨٣- راغب السرجاني، **الرحمة في حياة الرسول**، ص ٧٩.

٨٤- ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة** (بيروت: دار الكتب العلمية ،١٩٩٥م) ج ٣ص١٨١.

القصاص من النبي، والنبي في الحوار العادل لم يرفض، بل كشف عن نفسه للقصاص، ثم تبين أن الصحابي كان يريد أن يمس جلد النبي، في بادرة روحانية، ولكن في النهاية ظهر العدل وانكشف الحوار الإيجابي، وتلك هي الأسوة ، فمن المعلوم أن التربية بالقدوة من أهم وأمثل الطرق في ترسيخ المبادئ والقيم، وهي طريقة النبي صلى الله عليه وسلم، فالقيم والأخلاق والقواعد التربوية في حاجةٍ دائمة إلى من يُطَبِّقهَا ويعمل بها، ولذا كان المنهجُ النبوي في إصلاحِ البشريَّةِ وهدايتها يعتمد على وجودِ القدوة التي تحوِّل تعاليم ومبادئ الإسلام إلى سلوكٍ عمليّ، وحقيقة واقعة أمام الناس جميعاً، ولذا كان صلى الله عليه و سلم إذا أمر بشيء عمل به أولا، وإذا نهى عن شيء كان أول المنتهين عنه".

قال ابن حجر في كتابه **الإصابة** حين عرّف بالصحابي الجلندى ملك عمان: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه عمرو بن العاص يدعوه إلى الإسلام، قال الجلندى : "لقد دَلَّنِي على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يهجر، أي لا يتلفظ بقبيح الكلام، وأنه يفي بالعهد وينجز الوعد، وأشهد أنه نبي"[٨٥] ، وهي شهادة بمنطق العقل ومنطق الفهم دون ضغط أو إجبار أو إكراه ، وتؤكد للمسلم وغير المسلم صورة النبي والقرآن والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومنها: رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

لا يستقيم الحديث عن الحوارات النبوية دون التطرق إلى رسائله إلى الملوك في عصره يدعوهم فيها إلى الإسلام، نلاحظ أنها رسائل مبشرة بالخير، ومختصرة وشاملة مانعة.

نأخذ نموذجا وهو رسالته إلى هرقل إمبراطور الروم، الدولة المنتصرة مؤخرا على الفرس، تقول الرسالة : "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك

٨٥- المصدر السابق، ج٣، ص٢١٤.

مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٨٦).

نلاحظ في الرسالة أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ رسالته بتوقير هرقل باعتباره عظيم الروم أي رئيسهم، ثم ثنّي بالسلام عليه، ثم ثلّث بدعوته للإسلام، لم يهدده بالقوة، بل قال له ما معناه إن لم تسلم فعليك إثم أتباعك ، وختم رسالته بآية قرآنية لجمع الأمر على الكلمة السواء، والكلمة السواء هي التي تضع حوارا متكافئا بين فريقين، ولذلك رحّب هرقل بالرسالة، كما رحب غيره برسائل النبي، ما عدا كسرى الذي مزّق الرسالة، فذهب ملكه بعد قليل.

ومنها: وفد نصارى نجران

جاء وفد من نصارى نجران لمقابلة النبي صلى الله عليه وسلم للتأكد من صدق دعوته، جاؤوا بالملابس الغالية الحريرية ليبهروا النبي والمسلمين، ولكن النبي والصحابة أبهروهم بالزهد، ثم حاورهم النبي وسمح لهم بالصلاة في المسجد النبوي، ثم لجأ رسول الله إلى طريقة أخيرة وفريدة؛ لإقامة الحجة على النصارى، فطلب منهم أن يقوموا بالمباهلة أي الملاعنة، ونزلت الآية الكريمة ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾(٨٧)، فوافق أهل نجران ، فقد اعتقدوا أن النبي لن يلاعنهم، وعندما وجد الوفد النجراني أن النبي جاد في المباهلة بعد أن رأوا الزهراء والإمام علي والحسن والحسين جاءوا للمباهلة، فخافوا ، وتركوا الأمر، ورضوا بدفع الجزية دون جبر أو إكراه.

تلك بعض حوارات النبي عليه الصلاة والسلام جاءت لتؤكد أن الحوار الأمثل هو

٨٦- سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

٨٧- سورة آل عمران، الآية: ٦١.

الطريق لنشر دعوة أو لإفشاء فكرة.

المبحث الثالث: كيفية تعامل الإسلام مع غير المسلمين وطرق تعزيز الحوار وتقويته في العصر الحاضر عصر التقدم العلمي. ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: كيفية تعامل الإسلام مع غير المسلمين

بعد أن رأينا منطق القرآن الكريم في الحوار وكيف طبق النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحوار في التعامل مع الأعداء والصحابة، نكتب عن موقف الإسلام إذن من غير المسلمين، وهي القضية التي نراها لازمة ليدخل المسلمون في حوار مع بعضهم البعض، ومع غير المسلمين أيضا، لأن الإسلام جاء بقيم إنسانية مشتركه لا يمكن أن نجور عليها أو نتناساها، ونستند للقرآن والسنة الشريفة، ونكتب ليس من موقف الدفاع عن الإسلام بقدر ما هو توضيح للرؤية الإسلامية، فالغرب يهاجم الإسلام بأنه يضطهد الأقليات مثلا، أو أنه يرفض حقوق الإنسان، وكلها من أدبيات غير محايدة، وغير منصفة.

رؤية الإسلام للأقليات

للإسلام نظرة مغايـرة لمفهوم الأقلّية والأكثرية، فهو لا ينظر لبني الإنسان داخل المجتمعات الإسلامية ، أنَّ هناك أقلّية وأكثرية مِن ناحية عددية أو دينية أو عِرقية ... إلخ ، بل المعيار الوحيد الذي يذكره ويطرحه ـ بشكل موسّع ـ للأقلّية والأكثرية ، هو معيار الحقّ والتقوى، فمَن يتبعه فهم الأقلية ، ومَن يضادّه هم الأكثرية، وليس لهذين المصطلحَين مِن ذِكر إلّا في هذا المضمار: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾[٨٨] ، ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَۚ ﴾[٨٩]، ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[٩٠]، ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ

٨٨- سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

٨٩- سورة المائدة، الآية: ١٠٣ .

٩٠- سورة سبأ، الآية: ١٣.

كَٰرِهُونَ ﴾[٩١].

فالمسألة في نظر القرآن الكريم هي تحقّق العدالة للجميع، وإعطاؤهم كافّة حقوقهم بصورة متساوية، والفَرق الوحيد داخل المجتمع هو اتباع الحقّ وعدمه، وعليه فالإسلام لا يُفرِّق بين الناس مهما كانت فوارقهم اللُّغَوية والدينية، ومهما كانت عاداتهم وتقاليدهم، فكلّهم متساوون في الحقوق، وأمام القضاء، وأمام الدولة، فالحاكمية لله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٩٢]، وذلك عبر ما نزل في شريعةٍ مقدّسة وخاتمة لكلّ شرائعه السابقة.

أمّا مصطلح الأقلّية الدينية المطروح في المجتمع الإسلامي اليوم، فهو مصطلح معاصر موافقا مع ما طُرح مِن معاهدات ومواثيق دولية[٩٣]، فدخلت في موسوعة الثقافة الإسلامية حديثاً، وإلّا فالديانات الأخرى في المجتمع الإسلامي، هي ليست أقليّات حسب نظر الشرع الإسلامي، بل هم أهل ذمّة وعهْد، لهم أحكامهم وحقوقهم الكاملة طبقاً للشريعة المقدّسة، فلهم الحرّية الدينية في الالتزام بدياناتهم واعتقاداتهم ضمن شروط الذمّة. فلولا هذه الشروط؛ لتصدّع المجتمع بكامله وعمَّته الفوضى، واختلَّ النظام الاجتماعي. هذا من الناحية الدينية[٩٤].

أمَّا مِن ناحية اللغة أو اللون، فلا أقليّة في الإسلام مِن هذه الجهة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾[٩٥]، فكل المجتمعات الإسلامية بشتّى لُغاتها وألوانها لا فرق فيما بينها في الشريعة المقدّسة بكلّ الحقوق والواجبات.

٩١- سورة المؤمنون، الآية: ٧٠.

٩٢- سورة يوسف، الآية: ٤٠.

٩٣- علي أبو الخير، **الأكثرية والإجماع في تاريخ الأمة** (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،٢٠١١م) ص٥٩.

٩٤- المصدر السابق، ص ٦١.

٩٥- سورة الروم، الآية: ٢٢.

كذلك لا فرق في الأعراق والأقوام والقبائل في قاموس الإسلام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[٩٦] فالتقوى واتّباع الحقّ هو معيار التكريم عنده عزّ وجلّ .

إذن فأصحاب الديانات الأخرى متساوون بالحقوق مع المسلمين، ولا يجوز إيذاؤهم. وعليه فلا يُطلق في الشريعة عليهم: أقليّة ، بل أهل ذمّة، أو معاهدين، أو مستأمنين، لكنّ كلمة أقليّات دينية جاءت في الوقت الحاضر لتتناسب مع المعاهدات والمواثيق الدولية.

إن الأصل في الإسلام هو السلام وليس القتال، على خلاف ما كانت عليه الدول آنذاك في حالة صِراع كصراع الغابات ، فاختار الله الإسلام؛ رأفةً ورحمةً من لدنه تعالى وشريعةً سمحاء لهم، على يد الرسول المصطفى محمّد، لأداء هذه المهمّة المقدّسة في نشر الرحمة والسلام للبشرية كافّة، حيث يقول تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٩٧]، فلم يُعرف أنّه أعلن الحرب في بدايته المباركة وظلّ انتشاره إلّا ما شرّعه دفاعاً .

وعليه فإنّ مواجهة الأخطار والذَود عن القِيَم السامية، يستدعي الدفاع ـ كالدفاع عن النفس والعِرض والمال والوطن، في حالة الاعتداء عليها من قِبل أعدائه المناوئين له، وفي سبيل الدفاع عن المستضعفين الذين يعيشون تحت نِير الظلام وأعداء الإنسانية، كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرٗا ﴾[٩٨]، وهي حروب مشروعة عقلا، وليس لها مثيل في العالم في حاضره وماضيه في شدّة مراعاتها للحقوق الإنسانية، وهي حروب كانت لا مناص منها للدفاع عن الرسالة ومواجهة المعتدي والتصدّي له، أو لأجل الذود والدفاع عن

٩٦- سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٩٧- سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٩٨- سورة النساء، الآية: ٧٥.

النفس... وغيرها من مسوّغات الحرب.

لذا فالقاعدة والأساس في الإسلام هو السلام، والحرب ما هي إلّا استثناء وعند الضرورات، ولكنّنا نلاحظ الحضارة الغربية منذ أن ظهرت وأمسكت بمقاليد الأمور، اشعلت العالم بحروب دامية لا مثيل لها في التاريخ، وتجاوزت كلّ المبادئ والقِيَم الإنسانية، كما في الحربين العالميتين الأُولى والثانية، وما نتج عنهما من آثار سيّئة على شعوب العالم إلى اليوم، من الفقر والاستعمار والتشتّت والضغائن ما بين بني البشر.

وعلى هذا فالفتوحات الإسلامية تُعتبر قضاء على الظلم والطغيان الحاصل من المتسلّطين على الشعوب، وهي مع ذلك دعوة للمجتمعات في اعتناق الدين الإسلامي باختيارهم من دون إكراه بمبادئه السمحاء ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٩٩].

وسبيله العقل والتفكّر بهذا الدين ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾[١٠٠].

وفي المقابل إذا وقف أحد بأساليب عدوانية أمام هذه الدعوة المسالمة ، كأن يكون عذّب مَن آمن بها ، أو خطّط لهدمها أو صدّ عن الدخول بها ، فيقتضي الأمر هنا استثناءً إشهار السيف لإزالة هذهِ العقبة فقط ، فعلى سبيل المثال : قتال المسلمين للروم في موقعة مؤتة في عصر النبي عليه السلام، كان ذلك عندما شَرَع الروم بقتل مَن أسلم واضطهادهم .

إذن، يتبيّن أنّ الإسلام لم يأذن بالقتال إلّا درءاً للعدوان، وتصدّياً للاضطهاد.

قضية حقوق الإنسان

هناك قضية أخرى، وهي قضية حقوق الإنسان، والتي تبنتها البشرية منذ عدة عقود،

٩٩- سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

١٠٠- سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

وتقوم الدول الكبرى باستخدامها سياسيا ضد الدول الصغرى، ولكن الإسلام تحدث عنها وتبناها مبكرا، ذلك إن قضية حقوق الإنسان من أهم القضايا المثارة في العصر الحديث، وقد كثر عنها الكلام وتعددت المفاهيم، وتنوعت الرؤى، ثم صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من منظمة الأمم المتحدة[١٠١] لتضع الشعوب أمام مسؤولياتها لضمان حقوق الحرية والعمل والسفر[١٠٢] ، وغيرها من الحقوق التي نص عليها الإعلان، ورغم كل ذلك مازالت تلك الحقوق منتهكة في دول العالم ، والدول الكبرى على وجه الخصوص تنتهك حقوق الإنسان في العالم بأسره ، ثم تستخدم تلك الحقوق للضغط على الشعوب الأخرى من أجل تنفيذ سياساتها ، ولذا ظلت حقوق الإنسان حبرا على ورق.

إن الدول الكبرى تفتخر بأنها أرست حقوق الإنسان في أرضها، وتعتقد أن حقوق الإنسان هي في القول والتنقل والمرأة وغيرها من الحقوق، وذلك داخل حدودها، ولكن بنظرة متأملة يجد الإنسان أن كثيرا من حقوق الإنسان داخل تلك الدول منتهكة، وعلى سبيل المثال مازال يوجد تمييز ضد السود في المجتمعات البيضاء، كما أن العمال في تلك الدول مازالوا يعانون من سوء العلاقة بينهم وبين أصحاب الشركات الكبرى والمتعددة، وهي شركات رأسمالية ضخمة، تتدخل في السياسات العليا، وتعمل على أن تكون مصالحها فوق كل اعتبار، بحيث أصبح الأجير مثل العبد تماما، مثله مثل خدم المنازل، سواء كان هذا العبد مسخرا لشخص طبيعي، أو شخص اعتباري مثل تلك الشركات.

١٠١- منظمة الأُمَمْ المُتَّحِدَة منظمة عالمية تضم في عضويتها جميع دول العالم تقريباً. تأسست منظمة الأمم المتحدة بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ١٩٤٥م، في مدينة سان فرينسسكو الأميركية يتم تمويل المنظمة من خلال المساهمات المقدرة والمساهمات الطوعية من الدول الأعضاء فيها. توجد مكاتب رئيسية أخرى في جنيف ونيروبي وفيينا. وتشمل أهدافها الحفاظ على السلام والأمن الدوليين، وحماية حقوق الإنسان، وتقديم المساعدات الإنسانية، وتعزيز التنمية المستدامة، ودعم القانون الدولي الموسوعة الحرة ويكيبديا.

١٠٢- صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، عام ١٩٤٨م.

موقف الإسلام من حقوق الإنسان

إن الأديان جميعا جاءت بالحرية للإنسان من استعباد الآخرين له، الحكام وغير الحكام، وقد سبقت الأديان كل المفاهيم البشرية لتلك الحقوق، ولأن الإسلام هو خاتم الرسالات فلابد أنه أعطى الإنسان حقوقه كاملة غير منقوصة، وما جاء في القرآن الكريم وسيرة الرسول الأكرم سبق الإعلان العالمي بألف وأربعمائة عام، ولأن الإسلام إلهي المصدر فقد تميز ما جاء فيه عن غيره، بالروح الإيمانية التي تمنع الخروج على التعاليم الإلهية، لأن القرآن شمل العقاب الدنيوي والأخروي، وجعل الأكرم عند الله هو الأتقى بصرف النظر على اللون أو الأصل أو الجنس، وتميز القرآن بأنه منع اكتناز المال لمنع الاستغلال والاحتكار، كما أنه فتح الأبواب لحرية العبيد وجعل معاملة الرقيق هي نفس معاملة السيد.

إن الإنسان مخلوق مكرم من الله العلي القدير، كما أن الله خلق الإنسان في أحسن صورة وأكملها، ومنحه الحرية في الاختيار بين الخير والشر بين الحق والزيف، وذلك دون إكراه أو جبر أو تعذيب أو قتل، فكانت تلك أول الحقوق الممنوحة للإنسان، لأنه مخلوق على الفطرة السوية السمحاء، فكان التكريم الإلهي هو الأصل للإنسان، وبناء على هذا التكريم منع الله أي انتهاك له في البدن أو الروح، ولذا ومنذ بدء الخليقة وحتى قيام الساعة، ما انفكت حقوق الإنسان هي المحور الأبرز في الفلسفات الوضعية والتشريعات الإلهية.

لقد بُعث الأنبياء والرسل بشرائع السماء من أجل رفعة الإنسان والارتقاء به إلى الكمال التي حددها الله سبحانه له ، وهو الحق مصدر الحقوق كافة ، إلا أن تلك الحقوق قد تجاذبتها الأهواء والمطامع التي ارتبطت بالنزعة البشرية الغريزية إلى السيطرة ، فأخذ القوى يستهلك ويأكل الضعيف بحكم القوة التي امتلكها أو يحاول امتلاكها على حساب الآخرين.

ورغم التطور البشري والحضاري الذي ساد المجتمعات لم يتخلص الإنسان من هموم البحث عن الطعام أو العمل أو السلطة وهو ما أدى إلى استمرار الأقوياء يستخدمون الأرقاء كعبيد

مسخرين لخدمتهم سواء في المنازل كخدم أو عمال في المزارع والمصانع يأخذون أجورا متدنية لا تغنيهم، ولكنهم تزيد في غنى الأغنياء المترفين، أو هو الرق الحديث الذي يمكن تسميته بالرق المقنع لأنه يتخفى وراء الشعارات المعاصرة، ولكنه مازال فيه بقايا الرق القديم، والذي صوره موجودة على مستوى الأفراد وعلى مستوى الجماعات، كما نشاهده في استغلال الأطفال والنساء، وكما نشاهده في استغلال بعض الجماعات البشرية مثل ما حدث للسود الأفارقة الذين لا ذنب لهم سوى لون البشرة، وهم مازال يمارس ضدهم أنواع من التمييز العنصري.

ولا يمكن الحديث عن حقوق الإنسان في القرآن الكريم دون التطرق للعدل، لأن العدل هو الأصل الذي يصون كل الحريات والحقوق والواجبات، وبدونه تصبح الحقوق مهدرة، ولأهمية العدل في الإسلام وردت مادة (العدل) في القرآن الكريم ٢٨ مرة، ووردت كلمة (القسط) المرادفة لها ٢٥ مرة، وللحث على العدل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[١٠٣] وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[١٠٤] والإقساط هو العدل، والمقسطون هم العادلون ، وقد أمر الله بالعدل في الأحكام كما أمر به في الأقوال، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[١٠٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ

١٠٣- سورة النحل، الآية: ٩٠ .

١٠٤- سورة الحجرات، الآية: ٩.

١٠٥- سورة النساء، الآية: ٥٨ .

ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١٠٦].

لقد كانت البشرية قبل بزوغ فجر الإسلام تعرف العدوان أكثر مما تعرف الحق، وتحترم القوة أكثر مما تحترم الحرمة، والإنسانية في ظلمات بعضها فوق بعض، يفتك القوي بالضعيف، ويأكل القادر حقوق العاجز، ومع ذلك عرف العرب في جاهليتهم حلف الفضول، أن ينصروا المظلوم ويقفوا معه حتى يأخذ حقه من الظالم ، وذلك الحلف الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: "لو دعيت إليه في الإسلام لأجبته"[١٠٧].

وجاءت رسالة الإسلام، رسالة العدل والمساواة، حيث أشرقت الأرض بنور ربها وارتفعت كلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا"[١٠٨].

ذلك هو النهج القرآني الأصيل في حقوق الإنسان، وهو منهج نحن مأمورون باتباعه، ولو فرطنا فيه نكون فرطنا في الدين والكرامة الإنسانية كلها، وهذا هو المنطق القرآني الحواري في التعامل بين المسلمين بعضه البعض، وهي نظرة الإسلام لغير المسلمين، من أهل الكتاب ومن غير أهل الكتاب، حقوق مصونة وروح معصومة، وحياة كريمة لإنسان كرمه الله.

موقف الإسلام من الغير

الإسلام كما قلنا يعتمد الحوار بين المسلمين بعضهم البعض، وبين المسلمين وغير المسلمين، ثم أعطى الحقوق لكل البشر، ومن هنا نرى أن الإسلام يقف من غير المسلمين في حال السلم موقف الأمان، بل إنه لم ينه عن البر بهم ماداموا لم يقاتلوا المسلمين، وإنما ينهى عن البر بالذين قاتلوا المسلمين في دينهم وأخرجوهم من ديارهم وظاهروا على إخراجهم، فقال جل شأنه: ﴿لَّا

١٠٦- سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

١٠٧- أبوبكر البزار، **البحر الزخار** (بيروت: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٩م) ج١ص١٨٥.

١٠٨- ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٦ص١٦٩.

يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(١٠٩).

ونهى القرآن الكريم عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، فقال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(١١٠).

وأمر الإسلام بالوفاء بالعهد حتى مع المشركين، قال تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(١١١).

ولو طلب المشرك من المسلم أن يجيره فعليه أن يجيره، بل ويبلغه مأمنه، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾(١١٢).

ومن رعاية الإسلام لحقوق غير المسلمين رعايته لمعابدهم وكنائسهم، ومن محافظته عليها ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما حان وقت الصلاة وهو في كنيسة القيامة، فطلب البطريرك من عمر أن يصلي بها، وهمّ أن يفعل ثم اعتذر ووضح أنه يخشى أن يصلي بالكنيسة فيأتي المسلمون بعد ذلك ويأخذونها من النصارى على زعم أنها مسجد لهم، ويقولون: هنا صلى

١٠٩- سورة الممتحنة، الآيتان: ٨ و ٩.

١١٠- سورة العنكبوت، الآية: ٤٦ .

١١١- سورة التوبة، الآية: ٤.

١١٢- سورة التوبة، الآية: ٦.

١١٣- ابن كثير، **البداية والنهاية** ،ج٧ص١٢٩، وورد أيضا في باقي كتب التاريخ مثل: **الطبقات الكبرى وتاريخ الطبري**

ولم تتوقف معاملة المسلمين لغير المسلمين عند حد المحافظة على أموالهم وحقوقهم، بل حرص الإسلام عبر عصوره على القيام بما يحتاجه أهل الكتاب وما يحتاج إليه الفقراء منهم.

إن مثل هذه المعاملة من المسلمين لغير المسلمين تظهر للعالم أجمع على أن الإسلام ربى أتباعه على التسامح، وعلى رعاية حقوق الناس، وعلى الرحمة بجميع البشر مهما اختلفت عقائدهم وأجناسهم.

وقد حفظت أجيال المسلمين قيمة هذه الرعاية الإسلامية لحقوق غير المسلمين، لأنهم ما طبقوها إلا استجابة لتعاليم القرآن الكريم، وتوجيهات الرسول، وقد طبقها في حياته كما كتبنا في تلك الدراسة، فوعاها المسلمون جيلاً فجيلاً، وطبقها الخلف عن السلف، والأبناء عن الآباء، فها هو ذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: حدث مجاهد قال: "كنت عند عبد الله بن عمر، وغلام لم يسلخ شاة، فقال: يا عمر إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي، وقال ذلك مراراً، فقال له: كم تقول هذا؟ فقال إن رسول الله لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورث"(١١٤).

لم يفرق النبي بين الجار المسلم والجار اليهودي أو المشرك، فالجار له حقوقه، وهي مصانة.

وورد في التاريخ الإسلامي الكثير من المواقف المشرفة عبر التاريخ بعد فترة النبوة والخلافة الراشدة، التي تؤكد النظرة الإسلامية الحقيقية لغير المسلمين في البلاد الإسلامية.

ولا نكتب عن كل المواقف التي تعامل بها المسلمون مع غير المسلمين، ولكن فقط نكتب عن مجمل فكر التسامح والتعامل الإسلامي مع غير المسلم.

وغيرهما من كتب التاريخ الإسلامي.

١١٤- يرد الحديث في صحيحي **البخاري ومسلم** – واعتمدنا على ما جاء **بصحيح مسلم** ب: حقوق الجار، ناصر الدين الألباني، تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ) ط١ ص١٠١ والبخاري في **الأدب المفرد** (دار الصديق ، ١٤١٤هـ) ص ٩٥، و عبد الله بن أحمد بن عدي، **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ) ط١ج٦ ص ٢٩٢.

ولقد صل الأمر أن الفقهاء قالوا بأنه واجب المجتمع الإسلامي أن تُؤَمَّن كل ضوابط الحماية لكل من رضي العيش بداخله من غير المسلمين، وأن الجزية لابد أن تكون مقابل الحماية لغير المسلم، وإن تراجعت الحماية فلا جزية، يقول ابن حزم الأندلسي: إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكِرَاع والسلاح ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى، وذمة رسوله، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة [١١٥]، وهو موقف رائع حدث في أثناء قوة الدولة الإسلامية وحضارتها، ولم يكن من موقف ضعف.

ومن أروع الأمثلة على ذلك في التاريخ الإسلامي، هو موقف القائد الصحابي أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه من أهل حمص وغيرهم عندما كان يفتح بلاد الشام، فعندما هُزم المسلمون في موقعة، ولم توجد حماية لأهل البلاد التي كانت تقع تحت الاحتلال الروماني للشام، ، فقد ردّ أبو عبيدة عليهم أموالهم التي دفعوها مقابل حمايتهم من الاعتداء الخارجي بسبب عجزهم عن ذلك، فدُهش هؤلاء القوم، ثم قال أهل حمص لأبي عبيدة : ردكم الله إلينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا إلينا بل غصبونا [١١٦].

ولقد ورد غيرها من الأحداث التي تحمي غير المسلمين، لأنهم يرون ضرورة حماية كل المواطنين من السوء أيا كان مصدره، وأيا كان فاعله، والصور كثيرة متعددة، فراعينا الاختصار على قدر الدراسة البحثية.

تلك هي رؤية الإسلام لغير المسلمين، لا جبر ولا إكراه، ولا تكبر، ولا تحيز، وهو الموقف الواجب أن يتبناه المسلمون بين بعضهم البعض من جهة، وبينهم وبين غير المسلمين من جهة أخرى، ولو لم يحدث نكون كمن يبتعد عن رؤية القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

١١٥- ابن حزم الأندلسي، **الفصل في الملل والأهوال والنحل** (بيروت: مكتبة السلام العالمي، ٢٠٠٨م) ج٣ ص١١٤

١١٦- أحمد بن يحيى البلاذري ، **فتوح البلدان** (بيروت : دار الهلال ، ١٩٨٨م) ص ١٤٣.

المطلب الثاني : طرق تعزيز الحوار وتقويته في العصر الحاضر عصر التقدم العلمي

تتعدد الطرق التي تعزز وتقوي الحوار بين المسلمين بعضهم البعض، وبينهم وبين غيرهم ممن يعيشون معهم، وذلك ليعم السلام والأمن، وتصل المفاهيم والقيم إلي الآخر دون تجريح أو تعنت، وهنا نكتفي بأهم تلك الطرق لأن المقام لا يتسع للتفصيل.

أولا: المؤسسات الدينية

إن المؤسسات الدينية في شتى أرجاء العالم الإسلامي كـ "الأزهر الشريف، ووزارات الأوقاف والشئوون الإسلامية، ودور الإفتاء" لها دور مهم وعظيم في تقوية الحوار وتعزيزه بين المسلمين بعضهم البعض وبينهم وبين غيرهم ممن يعيشون معهم، وذلك من خلال عقد الحوارات والمؤتمرات وإصدار الكتب والمنشورات المختلفة والتي تحمل وسطية الإسلام دون إفراط أو تفريط في ثوابت الدين، وقد كان للأزهر الشريف والأوقاف المصرية دور كبير في هذا الشأن فقد تم مثلا إنشاء "بيت العائلة" المصري بين الأزهر والكنيسة المصرية، ومبادرة "معنا في خدمة الوطن التي تعقد سنويا" بالتعاون بين واعظات الأوقاف وراهبات الكنائس لتصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة لدى الآخر، كما أن هناك الكثير من الإصدارات التي صدرت في هذا الشأن مثل كتابي **الإسلام وقضايا الحوار** و**الحوار الثقافي بين الشرق والغرب** وغيرها من الإصدارات التي تقوي العلاقة وتزيل اللبس الخاطئ(١١٧) .

ويتضح مما سبق أهمية دور المؤسسات الدينية في تعزيز وتقوية طرق الحوار وذلك من خلال القنوات الشرعية التي تعمل جاهدة على إزالة المفاهيم الخاطئة وتصحيحها بما يتوافق مع ما جاء به الشرع الحنيف، خاصة وأن هناك قيم ومبادئ تتفق عليها جميع الديانات فهي أصول ثابتة، وذلك أمثال العدل، والتسامح، والوفاء بالعهود، والأمانة، والصدق، وبر الوالدين،

١١٧- **الحوار الثقافي بين الشرق والغرب**، إعداد الإدارة المركزية للسيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، إشراف وتقديم محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف المصرى، ١٤٤٠هـ، ص ١٠٩ وما بعدها بتصرف.

وحرمة مال اليتيم، وحق الجوار، والكلمة الطيبة، وغيرها من القيم التي تتفق عليها الشرائع المختلفة ولذا يقول النبي "الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"(١١٨).

ثانيا: وسائل الإعلام

تعتبر وسائل الإعلام المختلفة من أهم الطرق التي تقوي وتعزز الحوار بين الجميع، بل وهي من أخطرهم على الإطلاق لما لها من تأثير مباشر على المتلقي، وقد لعبت وسائل الإعلام دورا بارزا في حياة المجتمعات الإنسانية، ولهذا ارتبط الإعلام بكافة أنواعه ووسائلة بمصطلح الرأي العام، وهو أحد المصطلحات شائعة الاستخدام بين الكتاب والباحثين، ولم يأتِ هذا الاهتمام الكبير من فراغ فقد أصبح الرأي العام الآن قوة لا يستهان بها في معظم دول العالم بما في ذلك الدول العربية(١١٩).

ويظهر جليا الدور الذي تلعبه تلك الوسائل في تغيير سلوك وأنماط المجتمع، والذي تبلغ قوته في بعض الأوقات الحد الأعلى في تشكيل الأخلاق والسلوك، ويرجع ذلك لعدة أسباب منها، قوة وضعف المواد الإعلامية المقدمة للمتلقي، وقوة وانعدام الثقة فيما يقدم، واختلاف وجهات النظر.

ويؤكد علماء النفس والاجتماع أن الإعلام بوسائله المتعددة، هو أكثر وسائل التأثير على عقول وأفكار الناس، وبذلك فإنه الوسيلة الأولى التي تشكل اتجاهات الناس نحو المواضيع والمواقف الحياتية اليومية التي تعيشها وتواجهها المجتمعات العالمية، كما أصبح الإعلام يستخدم في التنظيم والبناء الاجتماعي المتكامل من أجل مصلحة الفرد والمجتمع، وفق ما يراها صاحب الآلة الإعلامية(١٢٠).

١١٨- رواه البخاري، **الفتح**، كـ: أحاديث الأنبياء ب: واذكر في الكتاب مريم برقم ٣٤٤٣ .

١١٩- محمود حمدي زقزوق، **الحوار الإسلامي المسيحي** (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٦هـ) ص١٦،١٧.

١٢٠- انتصار إبراهيم ،وصفد حسام، **الإعلام الجديد تطور الأداء والوسيلة والوظيفة** (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع الكتاب الأول ٢٠١١م) ص١١٠.

وهذا يوضح الدور الخطير الذي تلعبه وسائل الإعلام المختلفة في تشكيل الرأي العام خاصة في هذا العصر الذي نحياه عصر التقدم العلمي الرهيب والذي استطاع أن يحول العالم بأسره إلى قرية صغيرة تتناقل الأخبار أولاً بأول ولا يستطيع أحد أن يخفي شيئا.

ثالثا: المؤسسات الثقافية

إن من الوسائل التي تقوي طرق الحوار وتعززه المؤسسات الثقافية، والتي تستطيع بدورها بناء جسور التفاهم بين الشعوب والأمم، فتنشر ثقافة التسامح والتعايش والوئام، سعيا لبناء سلام عالمي على قاعدة القانون الدولي والقيم الإنسانية الخالدة، والتي هي القاسم المشترك بين الأديان والثقافات والحضارات جميعا[١٢١].

وتتعدد المؤسسات الثقافية والمنظمات الثقافية في العالم، وأصبح لها وزارات وهيئات كثيرة متنوعة، تعمل جميعها على نشر الثقافة والعلم ولكن على اختلاف التوجهات الدولية، فهي جميعها تابعة للدول والحكومات، فأينما كان توجه الدولة توجهت ثقافة تلك الهيئات والمؤسسات، ولكن لابد أن نعلم أن لتلك المؤسسات دوراً هاماً في بناء جسور الحوار بين المسلم وغيره.

رابعا: المؤسسات التعليمية

المؤسسات التعليمية لها دور هام وبارز في إقامة حوار هادف وبناء، وتدعم الجهود المبذولة في هذا الإطار، إن الوعي بالمشترك الأخلاقي والإنساني والقيمي هو في حقيقته التحقيق العملي لثقافة الحوار؛ ذلك أن جموع البشر عليهم العيش على نفس الكوكب مع ما يحتمه هذا- مع تقارب المسافات بفعل التقدم التقني في وسائل المواصلات والاتصال- من ضرورة التعاون، فالواقع يبين لنا أننا نعيش في جوار مع الآخرين، وأن الحواجز في هذا الجوار آخذة في التلاشي شيئا فشيئا بفعل التقدم التقني، وهو ما يجعل من الحوار أمرا حتميا، ويمثل فرصة للفهم المتبادل والتعاون المشترك، وهو بدوره ما يتطلب أن تسير محاولات تأكيد الذات الحضارية جنبا إلى جنب مع الجهود الرامية

١٢١- عبد العزيز التويجري، **حوار الثقافات والحضارات لمواجهة العنصرية**،ص٨.

لتوسيع آفاقنا الفكرية؛ ذلك أن مجرد إبراز أخطاء الآخرين فقط يؤدي إلى إفشال الحوار وتفريغه من مضمونه، ولنا في هذا المقام أسوة بالإمام الشافعي الذي كان يقول: رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب [١٢٢].

ولا شك إن المؤسسات التعليمية في الشرق والغرب يقع على عاتقها تبني مناهج وسياسات تعليمية توضح هذا المشترك الأخلاقي والقيمي للإنسان، وتؤكد على أهميته وضرورته،كما يقع على عاتق المؤسسات التعليمية، أن تربي طلابها على الحوار المستدام، ذلك لأن مهمتها ليست فقط تنشئة الفرد المتعلم والمهني الكفء ، بل التنشئة على المواطنة في مجتمع تعددي عبر توطيد أواصر العيش المشترك الثقافي والديني بين الأفراد والمجتمعات، فلابد للمؤسسات التعليمية من دور في تشكيل المجتمع وثقافته.

هذه أهم الوسائل والطرق التي تستطيع أن تقوي وتعزز طرق الحوار بين المسلمين بعضهم البعض، وبينهم وبين غيرهم ممن يعيشون معهم.

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من تبعهم إلى يوم الدين. وبعد:

فإن إظهار الحوار في ضوء القرآن والسنة من الأهمية بمكان في ذلك العصر الذي كثرت فيه المذاهب والأحزاب، وتعالت فيه روح الاختلاف والفرقة على جميع جوانب الحياة الإسلامية.

وهذه الدراسة (الحوار في ضوء القرآن والسنة) ألقت الضوء على تعرف الحوار، وتناول القرآن الكريم له، وأظهرت اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بقضية الحوار وتربيته للصحابة رضوان الله عليهم على إنشاء جسور الحوار مع الآخرين، كما أظهرت موقف الإسلام من التعامل مع الآخرين، وأهم الوسائل والمؤسسات التي لها دور بارز في تقوية وتعزيز الحوار.

١٢٢- محمود حمدي زقزوق، **الإسلام وقضايا الحوار** ، ص٤٥

النتائج:

أهم النتائج التي توصل لها البحث نجملها في نقاط :

١- الحوار أهم وأنجح الوسائل التي يستخدمها المرء لتحقيق أهدافه والتعبير عن أفكاره، ولذلك نجد أن القرآن الكريم اعتمده كثيراً في عرض الأحداث ، فالقرآن - بلا شك- يرسم منهجاً متكاملاً للحوار.

٢- اهتم النبي صلى الله عليه وسلم اهتماما بالغا بقضية الحوار وعلمه لأصحابه رضوان الله عليهم.

٣- الإسلام دين الحوار ولذلك لم يقتصر الحوار في الإسلام على المسلمين، وإنما تعداهم إلى حوارهم مع الغير ووضع لذلك ضوابط وشروطاً.

٣- الإسلام أول من قرر حقوق الإنسان قبل نشأة المنظمات الحقوقية.

٤- يمتاز الحوار القرآني بتنوع الأساليب التي يستخدمها في عرض مادة الحوار والكشف عنه حسب ما يقتضيه الحال والسياق.

List of References

1. abbdullah bin āḥmad bin ʿadī, **al-kāmil fī ḍuʿafāʾi al-rijāl** (beīrūt: dāru al-kutub al-ʿilmīaẗ, 1418 AH)
2. abū ḥāmid al-ghazālī, **iḥīāʾu ʿulūmu al-dīn** (dār al-minhāj, 2011 AD)
3. abūbakar al-bazār, **al-baḥru al-zakẖār** (beīrūt: maktabaẗu al-ʿulūm wa al-ḥikam, 1999 AD)
4. āḥmad bin fāris al-qazwīnī, **maqāīs al-lughaẗ** (beīrūt: dāru al-fikr, 1399 AH)
5. āḥmad bin ḥanbal, **musnadu al-īmām āḥmad bin ḥanbal** (cairo: ʿissa al-ḥalbī 1313 AH)
6. Aḥmad bin yaḥīa al-balāḏarī, **futūḥu al-buldān** (beīrūt: dāru al-hilāl , 1988 AD)
7. aḥmad muḥammad al-sharqāwī, **al-ḥiwār al-qurʾānī fī ḍaūʾi sūraẗi al-ʾānʿām** (jāmiʿaẗu al-shāriqaẗ)
8. aḥmad saīf tarkistānī, **al-ḥiwār maʿa aṣḥābi al-ʾadīān** (wazārẗ al-ʾaūqāf al-saʿūdīaẗ 2019 AD)
9. aintiṣār ibrāhīm wa ṣafd ḥusām, **al-āiʿlām al-jadīd taṭaūru al-āadāʾi wa al-wasīlaẗ wa al-waẓīfaẗ** (Ministry of Higher education and research, university of Baghdad,2011 AD)
10. **Al-ḥiwār al-thaqāfī baīna al-sharq wa al-gharb**, prepared by Central council of Religious affairs, Under the supervision of Dr. Muhammad Mukhtar, Minister for trust properties, Egypt, 1440 AH.
11. Ali abū al-kẖaīr , **al-rasūlu al-muṣṭafa** ... thaūraẗu al-kalimaẗu al-muqadasaẗ (ālqāhiraẗ :markazu al-fārābī lildirāsāt, 2007m)
12. ʿalī abū al-kẖaīr, **al-ʾakẖtharīaẗ wālijmāʿ fī tārīkẖ al-ʾaumaẗ** (baīrūt: markazu al-ḥaḍāraẗ litanmīaẗi al-fikri al-īslāmī, 2011 AD)
13. al-jurjānī, **al-taʿrīfāt** (baīrūt: dāru al-kutub al-ʿilmīaẗ)
14. al-qurṭabī, muḥammad bin āḥmd, **al-jāmiʿ lʾāḥkāmu al-qurʾān** (mūʾsasaẗu al-risālaẗ)
15. al-rāghib al-ʾāṣfahānī, **mufradātu al-fāẓu al-qurʾān** (damishq: dāru al-qalam , 2009 AD)
16. al-sīīd muḥammad ḥusaīn faḍlullah, **mustaqbalu al-ḥiwāru al-īslāmī** (baīrūt : al-īslāmī 2004 AD).
17. al-zamzamī, **al-ḥiwār: adābuh wa ḍawābiṭuh fī ḍaūʾi al-qurʾān wa al-sunaẗ** (dāru al-tarbīaẗ wālturāth – ramādi 1414 AH)
18. fahmī huwydī , **ḥaqū al-nās hūa ḥaqū allah**, majalaẗu al-ʿarabī al-kawytīaẗ – issue 297 – August, 1983 AD

19. Human rights charter, 1948 AD
20. ibn kathīr, **al-bidāīaẗ wālnihāīaẗ** (ālqāhiraẗ: dāru al-rīān llturāth, 1408 Ah.)
21. ibne jarīr al-ṭabarī , **tārīkẖu al-rusul wa al-mulūk** (ālqāhiraẗ: dāru al-maʿārif, 2008 AD)
22. ibne abī shaībaẗ, **al-muṣanif** (India: dāʾīraẗu al-maʿārif)
23. ibne ḥajar al-ʿasqalānī, **al-īṣābaẗ fī tamīīz al-ṣaḥābaẗ** (baīrūt: dāru al-kutub al-ʿilmīaẗ 1995 AD)
24. ibne ḥajar al-ʿasqalānī, **muwāafqaẗu al-kẖabar** (Riyad: maktabaẗu al-rāshid,1419 AH)
25. ibne ḥazam al-ʾāndalusī, **al-faṣl fī al-milali wa al-ʾāhwāli wa al-niḥal** (baīrūt: maktabaẗu al-salām al-ʿālamī, 2008 AD)
26. ibne hishām , **al-sīraẗu al-nabawīaẗ** (ālqāhiraẗ: dāru al-rīān lilnašr, 1987 AD)
27. ibne jarīr al-ṭabarī, **jāmiʿu al-baīān fī tafsīr aī al-qurʾān** (ālqāhiraẗ : dār ibne al-jaūzī)
28. ibne manẓūr , **lisānu al-ʿarab** (Cairo: dāru al-maʿārif)
29. Mahmood Hamdi, **al-ḥiwār al-īslāmī al-masīḥī** (Cairo: Central council of Religious affairs,1426 AH)
30. maḥmūd shaltūt, **al-īslām ʿaqīdaẗ wa sharīʿaẗ** (ālqāhiraẗ: dāru al-sharaūq lilnashr , 2007 AD)
31. muḥammad al-ṭāhir bin ʿāshūr, **al-taḥrīr wa al-tanwīr** (al-dāru al-taūnsīaẗ lilnashr, 2008 AD)
32. muḥammad bin īsmāʿīl, **al-ʾādab al-mufrad** (baīrūt:ʿālamu al-kutub,1404 AH)
33. muḥammad bin īsmāʿīl, **ṣaḥīiḥ al-bukẖārī** (ālqāhiraẗ: maktabaẗu al-aslafīaẗ 1400 AH)
34. muḥammad bin ʿīssa abū ʿīsa al-tirmiḏī, **sunan al-tirmiḏī** (baīrūt: dāru al-kutub al-ʿilmīaẗ)
35. muḥammad bin saʿad al-zuhrī , **al-ṭabaqātu al-kubra** (ālqāhiraẗ: maktabaẗu al-kẖānjī, 2001 AD)
36. muslim bin al-ḥajāj al-qashīrī, **ṣaḥīiḥ muslim** (ālqāhiraẗ: dār īḥīāʾu al-kutub al-ʿarabīaẗ, 1374 AH)
37. rāghib al-surjānī, **al-raḥmaẗu fī ḥaīāẗi al-rasūl** (dār rāghib al-surjānī lilnashr , 2009 AD)
38. sulaīmān bin al-ʾāshʿath, **sunan ābū dāūd** ((beīrūt: ālmaktabaẗ al-ʿaṣrīẗ ,2010 AD)
ʿumar bin ʿabdullah kāmil, **adābu al-ḥiwār ūqawāʿidu al-āiẖtilāf** (wazārẗu al-ʾaūqāf al-saʿūdīaẗ)